

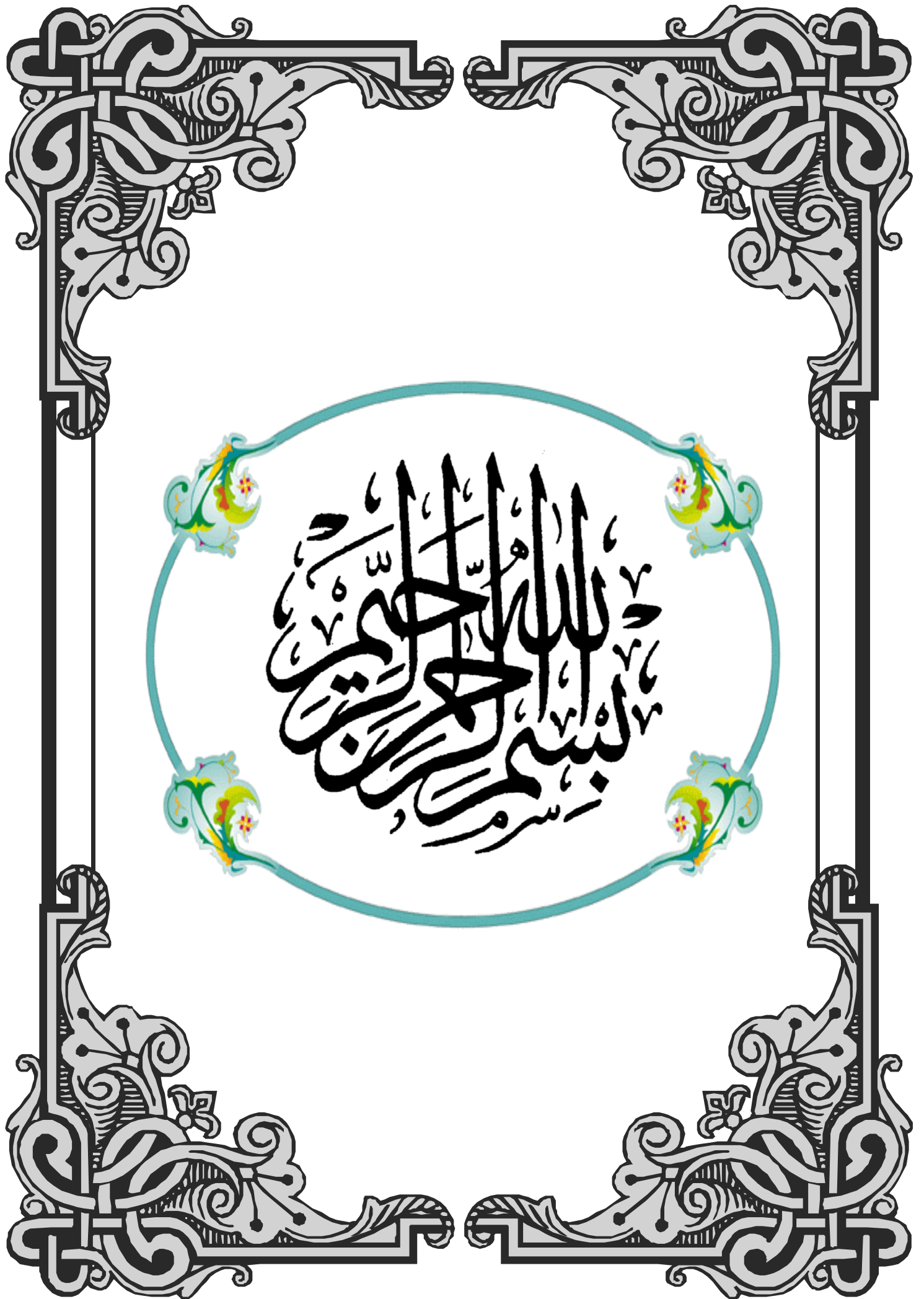
صورة الجزائر من خلال كتب رحلات المغاربة في العهد العثماني - رحلة أبو سالم العياشي أنموذجا -

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ
تخصص: تاريخ الجزائر الحديث

إعداد الطالبة:
- مريم دهيمي

أعضاء اللجنة المناقشة		
الترتبة	الجامعة	اسم ولقب الأستاذ
رئيسا	جامعة محمد بوضياف المسيلة	أ.د عبد الله مقلاتي
مشرفا ومقررا	جامعة محمد بوضياف المسيلة	أ.د عمر بوضربة
مناقشا	جامعة محمد بوضياف المسيلة	د. يمينة بن رجال

السنة الجامعية: 1439-1440 هـ / 2018-2019 م



إهداء

إلهي لا تطيب لي الليل إلا بشكرك ولا تطيب لي النهار إلا بطاعتك... ولا تطيب لي اللحظات إلا بذكرك ...

ولا تطيب لي الآخرة إلا بعفوك ولا تطيب لي الجنة إلا برويتك

إلى سليل الأخيار ونور الأنوار وزين الأبيار

إلى قائم آل محمد عليه السلام

إلى من سمر الليالي ونسى الغوالي وظل سندي الموالى وحمل همي خير موالى بالاهتمام

إلى روح والدي الغالي له الرحمة والمغفرة

وجعل الله مقامه الجنة الدائمة "علي"

إلى ملائكتي في الحياة إلى معني الحب وإلى معني الحزن والتفاني

إلى بسملة الحياة وعمر الوجود إلى من كان دعائها سر نجاحي

إلى التي عمرتني بحنانها وكان خير الأم المثالية

أمي الغالية "عمريو العمرية"

إلى من بهم أتمد، إلى من بوجودهم أكتسب قوة وصحة ومحبّة لا وجود لها

إلى من عرفتهم معهم معني الحياة

"إخوتي وأخواتي"

إلى هاجر، سلسيل، محمد علي، عبد الرحمان وإبراهيم الخليل

إلى كل من عرفتهم ووسعهم قلبي ولم يسعهم قلبي

مريو

شكر وعرفان

الشكر لصاحب الفضل والمنة لحسبي وكفيلي، راجية منه أن يتقبل عملي مع قلمه
وجهدي مع ضالته، وسعيي مع شوائبه.
ثم الشكر من بعده إلى كل من علمني حرفاً فأسرني به طوال المسيرة الدراسية
"أساتذتي الكرام"

وأخص بالذكر منهم موجهي وعونني في هذا العمل الأستاذ المشرف الذي لم يبخل عليّ بخبرته
مع بسعة أفقه وهذوه، طبعه و دعمه الكبير والدائم
البروفيسور "بوضربة عمر"

ثم الشكر إلى جميع أساتذتي في قسم التاريخ وبالأخص الأستاذة الفاضلة "معوشي أمال" نعم
القدوة الحسنة، على كل دعم وعون وتوجيه قدمته لي، فجزاها الله عني وعن الجميع خير الجزاء.
وفي الأخير أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من شعبني و
قدم لي يد العون في سبيل إنجاز هذه المذكرة من
قريب أو بعيد ولو بكلمة طيبة

قائمة المختصرات

1: باللغة العربية

ج: الجزء.

د: ت : دون تاريخ.

د. ط : دون طبعة.

ص: صفحة.

تر: ترجمة.

ت: توفي.

ش و ن ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

ع: العدد.

م: ميلادي

مج: مجلد

هـ : هجري

2: باللغة الفرنسية

p/ page .(صفحة)

-R. A: Revue-Africaine. (المجلة الإفريقية)

مقدمة

مقدمة:

يعتبر فن الرحلات من أقدم الفنون الأدبية في التراث العربي وأجلّها نفعا، ولهذا اهتم المغاربة بهذا الفن فيما بعد، فكان من نتاج ذلك الاهتمام أنهم تركوا لنا رصيذا ثريا يروي لنا رحلاتهم ومشاهداتهم التي أصبحت فيما بعد مصدرا أساسيا لدراسة تاريخ أي منطقة.

وقد تركزت اهتمامات الباحثين في الدراسات الحديثة المتعلقة بتاريخ الجزائر أثناء الوجود العثماني، بهذا النوع من الكتابات، وذلك لما تختزنه من معلومات وأخبار تاريخية شاملة عن المجتمع الجزائري بمختلف فعالياته، باعتبار أن الجزائر كانت محطة رئيسية لرحلات المغاربة أو جسر عبور نحو مقاصدهم.

ومن أهم الرحلات التي مرّ بها أصحابها من الجزائر رحلة أبو سالم العياشي الموسومة بـ"ماء الموائد" وهي التي وقع عليها اختيارنا كنموذج لموضوع دراستنا، وذلك للزخم الفكري الذي حملته الرحلة بين طياتها حول تاريخ المنطقة، ومن هذا المنطلق فإن موضوع صورة الجزائر من خلال رحلات المغاربة خلال العهد العثماني -رحلة أبو سالم العياشي" ماء الموائد" أنموذجا-، قد اهتم بدراسة الواقع العام للمنطقة في الجنوب الجزائري في ضل العهد العثماني خلال القرن الـ11هـ و الـ17م.

وقد كان الدافع لاختيار هذا الموضوع مبنيا على عوامل ذاتية وأخرى موضوعية، فأما الموضوعية فتتعلق بأهمية دراسة مثل هذا النوع من الكتابات، خاصة وأن الدراسات التاريخية أصبحت لا تستغني عن مثل هذه المواضيع.

إلى جانب هذا فإن رحلة أبو سالم العياشي ومسار رحلته إلى الجنوب الجزائري، لم يخط ولم ينل حظه من الدراسة والبحث خلال الفترة العثمانية وهذا الأمر دفعنا إلى محاولة تسليط الضوء عليها.

مقدمة

كما أن هذا الموضوع جاء نتيجة قناعات وميولات شخصية، من أهمها الرغبة في دراسة كل ما تعلق بتاريخ الجزائر العثمانية عموماً وبالأخص الجنوب الصحراوي من منظور كتاب الرحلة، وكذا التطلع لمعرفة ما تضمنته من أخبار حول تلك الفترة ومعالجة كل ما لفت انتباهنا للخوض في غمار البحث فيه.

ولمعرفة جوانب البحث الذي نحن بصدد معالجته، حاولنا طرح إشكالية رئيسية ضمن هذه الدراسة ومفادها:

إلى أي مدى ساهمت رحلة أبي سالم العياشي في رسم صورة حية لواقع الجزائر العام وأوضاعه خلال القرن 11 هـ و17م؟

ولدراسة هذه الإشكالية وجب علينا طرح الأسئلة التالية:

- ما المقصود بالرحلة؟ وما هي دوافعها وأنواعها وأهميتها خلال العهد العثماني؟
- من هو أبو سالم العياشي؟ وفيما تكمن أهمية رحلته كمصدر تاريخي؟
- كيف رسم العياشي الواقع السياسي للأقاليم الصحراوية؟ وما طبيعة نظام الحكم السائد بها؟
- ما طبيعة التركيبة الاجتماعية لسكان المنطقة؟ وما أبرز القيم والعادات والتقاليد التي تميزت بها عن غيرها من المناطق وكيف كان وضعه الصحي؟
- كيف صور العياشي الحياة الثقافية في تلك الفترة وما هي أهم المؤسسات التعليمية ووضعا وتأثيرها على المجتمع الصحراوي؟
- كيف عبر العياشي عن الأحوال الاقتصادية بمختلف أنشطتها؟

وقد بُني هيكل هذه الدراسة على مقدمة يليها فصل تمهيدي ويتبعه خمسة فصول وقد ضم كل فصل مبحثين أو ثلاث مباحث اندرج تحتها مجموعة من المطالب والفروع،

مقدمة

وأنهينا البحث بخاتمة ضمّنتها بأهم النتائج المتّوصل إليها وبعدها ذيلنا البحث بملاحق ذات الصلة بالموضوع وبعض الفهارس.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن نتناول في الفصل التمهيدي ماهية أدب الرحلة، حيث قمنا بتعريف الرحلة وأبرزنا دوافعها وأنواعها وكذا أهميتها في الكتابة التاريخية في العهد العثماني.

ثم يليها الفصل الأول وتناولنا فيه لمحة عن حياة أبو سالم العياشي ورحلته ماء الموائد فشمّل مولده ونشأته، أهم شيوخه وشخصيته العلمية وأهم آثاره ثم وفاته، كما ضمّنا فيه وصف لرحلته ماء الموائد، من خلال التطرق إلى مضمونها ومسارها.

وفيما يخص الفصل الثاني فدرسنا فيه الأوضاع السياسية السائدة على ضوء كتاب الرحلة والرحالة، حيث تعرضنا إلى الأوضاع السياسية بما فيها الحكم العثماني في الأقاليم الصحراوية وعلاقتهم بسلطين الأسر المحلية ولمحة عن التنظيم الإداري القائم بها ومميزاته وكذلك أهم الحوادث التي أشار إليها العياشي في رحلته.

أما بالنسبة للفصل الثالث فجاء بعنوان الأوضاع الاجتماعية في نظر الرحالة العياشي وتعرضنا فيه إلى الحالة الاجتماعية من حيث طبيعة التركيبة البشرية وتوزيعها، وأهم عوائدهم وأخلاقهم وكذا وضعهم الصحي.

في حين جاء الفصل الرابع بعنوان الحياة الثقافية والفكرية في نظر الرحالة، وقد تناولنا فيه وضع المؤسسات الثقافية ودورها في تنشيط الحركة العلمية وكذا العلوم والمؤلفات المنتشرة آنذاك، وسعينا لإبراز لقاءات العياشي مع علماءها وفقهائها، كما تعرضنا إلى الحضور الصوفي وتأثيره على المجتمع.

أما الفصل الخامس فحاولنا فيه تسليط الضوء على الأوضاع الاقتصادية السائدة عصر الرحلة والرحالة لهذه الأقاليم بما فيها من فلاحية من زراعة وطرق السقي وكذلك النشاط الصناعي المعتمد والتجارة كالتطرق التجارية وأسواق ومعاملات تجارية، وفي

مقدمة

الأخير خاتمة احتوت على مجموعة من استنتاجات ثم مجموعة من الملاحق والفهارس ثم قائمة المصادر والمراجع.

وقد اتبعنا في دراستنا لهذا الموضوع على المنهج التاريخي القائم على جمع المادة ومراجعتها وترتيبها ومن ثم تقسيمها إلى مباحث لاستكمال الصورة التاريخية حول الجوانب المختلفة، كما اعتمدنا على المنهج الوصفي الذي استخدمناه في وصف ملاحظات الرحالة في مختلف الجوانب كالتراجم والعلماء ونمط العمران، بالإضافة إلى ذلك استخدمنا المنهج المقارن الذي استعنا به في مقابلة النصوص الرحلية وفي عرض وجهات النظر بين ما جاء في مضمون رحلتنا وما جاء في الرحلات الأخرى.

وقد اعتمدنا في إنجازنا لهذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع التاريخية، ومنها الرحلات التي تعتبر من المصادر الأولية المعتمدة في هذا البحث، أهمها:

-رحلة أبو سالم العياشي المسومة بالرحلة العياشية "ماء الموائد" المحققة من قبل سليمان القرشي وسعيد الفاضلي بجزأيه، وقد كانت استفادتنا منه كثيرة وذلك فيما يتعلق بمختلف جوانب الموضوع محل الدراسة.

كما اعتمدنا على رحلات أخرى متفاوتة الأهمية استعنا بها ووضفناها توضيفا متفاوتا في مضمون دراستنا نذكر منها :

-الرحلة الورثانية أو نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار للحسين الورثاني، الذي استعملناه أكثر في وصف الحياة الثقافية السائدة آنذاك.

-ابن الدين الأغواطي وكتابه "رحلة الأغواطي في شمال إفريقيا والسودان والدرعية" واستعملناها فيما يتعلق بوصف مدن الجنوب وغيرها، بحكم أنه يمثل ابن المنطقة خلافا لرحالتنا وحتى تكون التغطية والمقارنة أشمل.

مقدمة

بالإضافة إلى ذلك أفادت العديد من الرحلات كرحلة الحسن الوزان الموسومة بـ"وصف إفريقيا" والمصعبي ابن المحبي "رحلة المصعبي" ورحلة التيمقوتي الموسومة بـ"النفحة المسكية في السفارة التركية"، ورحلة أبو القاسم الزياني المسماة "الترجمانة الكبرى" والغساني صاحب "رحلة الوزير في افتكاك الأسير" وابن زكور الفاسي ورحلته المسماة "نشر أزاهير البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكابر الأعيان"، في إعطاء دراسة وافية لمختلف ثنايا البحث.

وقد استعنا كذلك بمراجع أخرى مفيدة لهذا الموضوع، توزعت على الرسائل الجامعية وكتب التراجم والسير والحواليات منها:

كتاب مولاي بلحميسي "الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني"، الذي كانت بالنسبة لنا الدليل والموجه في دراستنا، حيث استعنا به في معرفة أهم الرحلات التي توقف بها العياشي خلال رحلته.

بالإضافة إلى مؤلفات أبو القاسم سعد الله كتاريخ الجزائر الثقافي وبالأخص الجزء الأول والثاني واستعنا بها في دراسة الجانب الثقافي.

وككل بحث واجهتنا بعض الصعوبات العديدة كتشعب المادة العلمية وصعوبة التحكم فيها وخاصة كتب الرحلة، حيث وجدنا فيها الكثير من الاستطراد كما أنها لا تحوي أفكار أساسية يسهل استخلاصها، بالإضافة إلى ذلك ضيق الوقت المخصص لإعداد المذكرة وأيضا صعوبة اقتناء بعض الرحلات المحققة حديثا.

وأخيرا ما يمكننا قوله حول هذا العمل إن أصبنا في إنجازه فو من توفيق الله عز وجل، وإن كان غير ذلك فحسبنا أننا اجتهدنا دون كلل أو ملل والله ولي التوفيق.

الفصل التمهيدي

ماهية أدب الرحلة

المبحث الأول: مفهوم الرحلة

المبحث الثالث: أنواع الرحلة وأغراضها

المبحث الثالث: أدب الرحلة مصدر للكتابة التاريخية

الفصل التمهيدي:..... ماهية أدب الرحلة

شكّلت الرحلة منذ القدم نوعاً من النشاط الإنساني الحيوي، فالإنسان لم يتوقف عن الحركة والتنقل لأنها سمّة من سماته التي لا يمكن بأي حال التوقف عن ممارستها في حياته وإن كان عرف الاستقرار، فقد ظلت الرغبة في استكشاف الآفاق البعيدة تشدّه إليها، أما المغاربة فكان لهم سبق في هذا المجال وتفوقوا على المشرق، خاصة تلك المتعلقة برحلات الحج، ومهما كان الغرض من تلك الرحلات فإنها أصبحت بدون شك مصدر هام من المصادر التاريخية.

المبحث الأول: مفهوم الرحلة

المطلب الأول: الرحلة في اللغة:

حضي مصطلح الرحلة بشرح وافي في العديد من المعاجم العربية القديمة، وقد ربط العرب آنذاك بين مفهوم الرحلة وبين الدواب التي يرتحلون عليها بصورة عامة، وفي هذا الصدد جاء في معجم مقاييس اللغة أن: رَحَلَ: الرَاء والحاء واللام أصل واحد، يدل على مُضي في سفر. فيقال رَحَلَ: يَرَحَلُ، رِحْلَةً. والرَّحْلَةُ: الارتحال. والرَّحْلَةُ: إذا أضغنه من مكانه¹.

وقد ورد في لسان العرب: رَحَلَ الرَّجُلُ: إذا سار، وَرَحَلَ رَحُولٌ وَقَوْمٌ رُحَلٌ: أي يرتحلون كثيراً. وَرَجُلٌ رَحَّالٌ: عالم بذلك ومجيد له، وَالتَّرَحُّلُ والارتحال معناه الانتقال². أما صاحب القاموس، فإنه يستعرض اشتقاقات هذه الكلمة محاولاً التفريق بين الرحلة بالكسر والرحلة بالضم، فيقول: "الرحلة بالكسر هو الارتحال بالسير ومنه قوله تعالى: "رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ"³، والرحلة بالضم أي الوجه الذي يقصده الراحل، يُقال مكة رُحْلتي أي الوجه الذي أريد أن أرتحل إليه⁴.

1- أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 01، 1979م، ج2، ص487.

2- ابن منظور، لسان العرب، تر: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ج18، مج3، د. ط، د: ت، ص1608.

3- القرآن الكريم، سورة قريش، الآية 3.

4- الفيروز آبادي، قاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرق السوسي، دار الجبل، بيروت، 1949م، ج2، ص394.

الفصل التمهيدي:..... ماهية أدب الرحلة

مما ذكرناه سابقا ينسب للمعاجم القديمة أما بالنسبة للمعاجم الحديثة ، يكف أن نشير إلى ما جاء في دائرة المعارف القرن العشرين ، على أن الرحلة هي: يَرْحَلُ، رَحْلاً وَرَحِيلاً وَ تَرَحَّلاً: أي ذهاباً،¹ وقد تعززت هذه المعاني مع أصحاب المعجم الوسيط الذين اتبعوا سبيل المعجمية القديمة، مصنفين معنى جديد، وهو أن "الرحلة" أيضاً تطلق على كتاب أو قصة يصف فيه الكاتب ما جرى خلال رحلته.²

ومن هنا يظهر أن الرحلة متعددة الاشتقاقات (رَحَلَ، ارتحل، تَرَحَّل، رَحَل، إسترحل،...)، قد جاءت كلها بمعنى المسير والانتقال، أو المقصد الذي يراد به السفر.

المطلب الثاني: الرحلة في الاصطلاح:

يمكن تعريف الرحلة من الجانب الاصطلاحي على اتجاهين الرحلة كحركة وكتاب مدون، ويعرف الجانب الأول للرحلة كحركة على أنها: "انتقال واحد أو جماعة أو قبيلة أو أمة من مكان لآخر لمقاصد مختلفة ، ولأسباب متعددة ...، وإن كان لكشف أمور علمية أو تاريخية أو جغرافية ...سميت رحلة"،³ وقد عرّفها أبو حامد الغزالي بأنها "نوع حركة ومخالطة أو نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة"، وقد رأى بأن الفوائد الباعثة على السفر لا تخلو من طلب، فالإنسان لا يسافر إلا لغرض، وهذا يعني أن الرحلة هي الانتقال من مكان لآخر مهما كان الغرض والدافع والمكان أو المسافة.⁴

ومن هنا نجد أن الرحلة هي إنجاز يقوم به الفرد أو الجماعة بالانتقال من مكان لآخر من أجل تحقيق هدف أو غرض معين يعود بالفائدة الخاصة أو العامة.

¹ - محمد فريد وجدي، دائرة المعارف القرن العشرين (الرابع عشر - العشرين)، دار الفكر، بيروت، د. ط، د: ت، مج 4، ص 201.

² - أحمد الزيات وآخرون، المعجم الوسيط، تح: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة، ج1، ص 335.

³ عبد الرزاق عطلاوي، الرحلات العلمية وآثارها في الحركة الإصلاحية الجزائرية 1900-1954م، دار اليازوري العلمية ، ط 1، 2001م، ص 25.

⁴ - أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، دار الشعب، القاهرة، د. ط ، د: ت ، ج6، ص 1080.

الفصل التمهيدي:..... ماهية أدب الرحلة

أما مفهوم الرحلة ككتاب ومُدُون، فقد اجتهد الدارسون في تعريفها، وكلّ نظر إليها نظرة محددة، تعددت بتعدد زاوية الاهتمام والتخصص، غير أن هناك من الباحثين من أعطاه صبغة الشمولية، فعُرِّفت في هذا الاتجاه بأنها نمط تعبيرى يتعرض إلى جميع نواحي الحياة أو يكاد، فهي منبع ثرة لمختلف العلوم ولمختلف مظاهر الحياة¹، إذ يتوفر فيها ما لا يمكن أن يتوقف عنده لا المؤرخ ولا الجغرافى بل وحتى علماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الأدب والعلم والدين.²

ومن هنا يتحدد لنا مفهوم أدب الرحلة على أنه تلك الكتابة التي تتميز بالسرد، والتي يجمع فيها الرحالة مادتها خلال مشاهدته في الأراضي التي زارها وتتضمن الأحوال والمعلومات والأفكار التي تتراكم لدى الرحالة خلال سفره.

المبحث الثاني: أنواع الرحلة وأغراضها

حضت الرحلة منذ القدم باهتمام المغاربة، وترجمت رغبتهم الدفينة التي سرعان ما تعبر عن ذاتها بالميل إلى القيام بالواجب الديني، وكذلك كفرصة لطلب لعلم ومعرفة الآفاق، وكان هذا سبب مباشر في تفوقهم في هذا المجال على المشاركة أنفسهم، وقد تنوعت الرحلات بتنوع أغراضها وأهدافها غير أن أكثرها شيوعاً لدى المغاربة هي ما يعرف بالرحلات الحجازية الحجية، والرحلات العلمية،³ وفي هذا الصدد، سنقف وقفة نستشف من خلالها البحث عن الدوافع التي ساهمت في القيام بهذه الرحلات.

¹- حسين محمود حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ط02، 1989م، ص6.

²- كراتشوفسكي أغطانيوس يوليا نوفيتش، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، دار الغرب الإسلامي، 1987م، د. ط، ج1، ص17.

³- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، ط01، 1998م، ج2، ص381.

الفصل التمهيدي:..... ماهية أدب الرحلة

أ- الرحلات الدينية:

1- الرحلة الحجية: يعد الحجّ الدافع الأساسي لدى المغاربة للقيام بالرحلات، تلبية لنداء الرحمان مصداقا لقوله تعالى: "وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ لِمَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا"¹ وقد دلّت الأشعار والأشواق التي عبر عنها أصحاب الرحلات، على الروحانية النافذة لأعماق المغاربة لزيارتها، وهذا ما نجده في كثير مضامينها، حيث تناولت جزءا كبيرا من هذا الشعر الديني، مثل رحلة أبي سالم العياشي، وما يدل على رغبة المغاربة في مثل هذه الرحلات، هو تكرارهم للحج لأكثر من مرة، فهذا المقرئ اشتهر برحلاته التي تجاوزت خمس مرات إلى الحج².

2- الرحلة الصوفية: ويكتسي هذا النوع من الرحلات طابعا دينيا وروحيا، وقد تميز فيها المغاربة عن غيرهم من الرحالة العرب، ومما ساهم في انتشارها شيوع ظاهرة التصوّف في كامل المغرب الإسلامي³، مما أدى إلى كثرة المريدين والتابعين الذين انتقلوا بين الحواضر والأصقاع، وذلك من أجل البحث عن المعرفة وتعلم الطرق الصوفية ولقاء الشيوخ والأولياء والتبرك بهم وكذا الصلحاء من الأموات في الأضرحة والقباب وهذا لاعتقادهم أنها من أعمال القربى، فهذا ابن زروق اشتهر بزيارته للأولياء وملازمتهم، ومثله عبد الله ابن سودة الذي زار ضريح عبد السلام ابن مشيش⁴ أكثر من 70 مرة.⁵

¹ - القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية 97.

² - ابن العباس أحمد المقرئ، رحلة المقرئ إلى المغرب والمشرق، تح: محمد بن عمر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، سيدي بلعباس، الجزائر، د. ط، 2004م، ج1، ص12.

³ - الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالغرب في العصر المريني، منشورات عكاظ، الرباط، د. ط، د: ت، ج1، ص71.

⁴ - عبد السلام بن مشيش، هو الشيخ أبو محمد بن أبي بكر بن علي، أحد أقطاب التصوف تخرج على يديه كبار العلماء ومنهم أبو الحسن الشاذلي مؤسس الطريقة الشاذلية، ينظر: مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، د. ط، 1981م، ص 77.

⁵ - حسين نصار، أدب الرحلة، دار نوبار للطباعة والنشر، القاهرة، ط1991، 02م، ص- ص 32-79.

الفصل التمهيدي:..... ماهية أدب الرحلة

ب-الرحلات العلمية: عرفت الرحلة في طب العلم لدى المغاربة عموماً نشاطاً كثيفاً حيث اتسع نشاطها على مدى قرون حتى بلغت أوجها في العهد التركي،¹ وأصبحت الرحلة شرطاً أساسياً من شروط اكتمال المعارف ومعياري أساسي للحكم على مستوى العلماء والفقهاء.

من أجل ذلك تنقل العلماء بين الأقطار يعلمون ويتعلمون في المعاهد والزوايا المنتشرة شرقاً وغرباً، وسعوا للتأقلم والأخذ عن العلماء، بحضور مجالسهم العلمية، ونيل الإجازات.

كما هدف الرحالة إلى تحصيل الحديث والتثبت من الرواية مثل رحلة عبد الرحمان الثعالبي الذي حصل الحديث، فنال بذلك إعجاب محدثي عصره بعد عودته من المشرق.²

ج-الرحلات الرسمية: ويضم هذا النوع من الرحلات، الرحلة السفارية والاستطلاعية.

1-الرحلة السفارية: غالباً ما يكون الغرض منها تأدية مهمة رسمية، فتمولها السلطة المركزية، كما أن لها أغراض معلومة يُسكت عنها في الغالب،³ ومن نماذج هذا النوع من الرحلات، رحلة محمد بن عثمان المكناسي ورحلته المسماة "الإكسير في افتكاك الأسير"، وأخرى تسمى "إحراز المحلى والرقيب"،⁴ وكذلك رحلة الغساني المغربي، الذي ألف رحلته السفارية المسماة "رحلة الوزير في افتكاك الأسير"، حيث كانت مهمته الانتقال من بلده المغرب الأقصى إلى الجزائر، وذلك لإبرام المعاهدات بين ملوك الدولتين،⁵ وهناك من الرحالة من كلّف بالذهاب إلى الدول الإسلامية ومنهم التمكنوتي المغربي وذلك بأمر من

¹ - كراتشوفسكي أغطانيوس، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، المرجع السابق، ص 19.

² - الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، المرجع السابق، ج 1، ص 92.

³ - حسين محمد فهمي، أدب الرحلات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989م، ص 91.

⁴ - نوال شوابكة، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع هجري، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان ط 01، 2004م، ص 40.

⁵ - محمد بن عبد الوهاب الغساني، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، منشورات الجنرال فرنكو، د. ط، د: ت، ص 3 من المقدمة.

الفصل التمهيدي: ماهية أدب الرحلة.....

السلطان المغربي أحمد المنصور بالذهاب إلى إسطنبول، وسميت رحلته بـ "النفحة المسكية في السفارة التركية".¹

2- الرحلة الإستطلاعية (التجسسية): تتميز هذه الرحلات بسرية دوافعها ومن النماذج الرحلية لهذا النوع، نجد رحلة ابن الدين الأغواطي الذي دَوّن رحلته أواخر عشرينات القرن 19م وذلك استجابة لطلب ويليام هودسون مساعد القنصل الأمريكي وليام شالر، وقد أشار إليها أبو القاسم سعد الله في كتابه أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر.²

3- الرحلة الجهادية: وهي الرحلة التي يتم فيها مصاحبة الملوك والمسؤولين الكبار، حيث يكلف الرحالة فيها بتدوين الأحداث أثناء قيامهم بحملات تأديبية من عقبات ونكبات وانتصارات،³ ومنها رحلة ابن هطال التلمساني، الذي رافق الباي محمد الكبير نحو الجنوب لضم القبائل الصحراوية تحت سلطته.⁴

د- الرحلات السياحية: هي الرحلة التي تصدر عن صاحبها رغبة في السفر لذاته، وحبّه للتنقل واكتشاف الخبرات والطبائع وكذا الغرائب والعجائب،⁵ وبرز في هذا المجال الرحالة الحسن الوزان الفاسي، وكانت رحلته إلى المشرق (1515-1516م)، وسميت رحلته المدونة بـ "وصف إفريقيا".⁶

¹ -الحسن التيمقوتي، النفحة المسكية في السفارة التركية، تح: عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة المالكية، الرباط، د. ط، د: ت، ص 5 من المقدمة.

² -أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ط: خ، ج2، ص 243 وما بعدها.

³ -الحسن الشاهدي، المرجع السابق، ص 98.

⁴ -بن عتو بلبروات، "اهتمام الإستشراق الفرنسي برحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الغرب الجزائري"، الحوار المتوسطي، العدد 3-4/مارس 2019م، ص ص 107-108.

⁵ -فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط02، 2002م، ص 20.

⁶ -مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص 11.

المبحث الثالث: أدب الرحلة مصدر للكتابة التاريخية

تكمُن أهمية الرحلة في أنها تزخر بالعديد من المعارف المتنوعة، فمنها ما هو ديني وتاريخي وجغرافي واجتماعي... وغيرها، ما يجعل الرحلة قبلة للعديد من الباحثين في مختلف المشارب، والتخصصات¹، وهذا لأن تلك المعارف تخضع بحسب الشخصية والتكوين الثقافي للرحالة، فالرحالة المؤرخ يولي اهتمامه للمعرفة التاريخية، والمتصوّف يُعنى كثيرا بالمعرفة الصوفية، وهناك من اهتم بالعلم والأدب، ومنهم من تحدث على المسالك والممالك²، وكل هذه المعارف تدخل كما هو مؤكد ضمن الدراسات التاريخية التي يعتمدها المؤرخ كمصدر أساسي، والتي قد لا توجد في كتب التاريخ.

وتتجلى القيمة العلمية للرحلة في مجال التاريخ بالخصوص؛ حيث تنقل ذلك الاختصاص بواقعية وكيفية حية، إذ تُدوّن فيها الأحداث التاريخية بوضوح تام وهو الأمر الذي أوثق المرنّيات وأكّد حدوث الوقائع.³

بالإضافة إلى ذلك ساهمت الرحلات في معرفة جغرافيا البلدان والأصقاع، حيث عمد الرحالة إلى تصوير المسالك وقياس مسافات الطرق ووصف المعالم والمحطات وتدوينها تدوين المشاهد المتأمل.⁴

كما تعرض الرحلة موضوعات اجتماعية متنوعة، حيث أنها ترد في شكل ملاحظات وإشارات إلى الظواهر والحالة الاجتماعية التي ترتبط بعبادات وتقاليد وأخلاق ونظم مجتمع أهالي البلاد التي يزورها الرحالة، كما تسمح بالتعرف على أصولهم وأسماء قبائلهم وطبقاتهم الاجتماعية، وكذا الأحداث التاريخية التي كان لها أثر إيجابي أو سلبي على المجتمع ككل

¹ -موشوشة سمير، "ابن حمادوش وأبو راس يؤرخان للعلاقات التجارية بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن 18م"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 2017/12، ص 286.

² -أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب و الرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص 203.

³ -محمد حسين فهم، أدب الرحلات، المرجع السابق، ص 87.

⁴ -عواطف بن يوسف نواب، كتب الرحلات المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين 11-12م، دار الملك عبد العزيز، د. ط، 2008م، ص 22.

الفصل التمهيدي:..... ماهية أدب الرحلة

أو بعض أفراد... إلخ، مما جعلها مصدر لا يستغني عنه العلماء المؤرخين وحتى علماء الاجتماع.¹

وقد عُيّنت الرحلة عناية كبيرة في الجانب العلمي من خلال إبراز مختلف العلوم، حيث أشار الرحالة إلى النشاط العلمي في المناطق التي مروا عليها وترجموا لعلمائها ووصفوا مدارسها ومكتباتها وحلقات دروسها، بالإضافة إلى ذكرهم أهم المؤلفات والمخطوطات التي يحوزونها.²

كما ساهمت الرحلة بشكل كبير في إبراز التمكن العلمي بمختلف أصنافه في العصر التي دونت فيه وكذا المستوى الفكري لدى الرحالة نفسه، حيث تقدم لنا جانب من سيرته الذاتية.³

وفيما يخص الجانب الاقتصادي فلم تهمله الرحلة أيضاً، إذ لا تكاد تخلو من ذكر النظم الاقتصادية والمراكز والطرق التجارية وأنماط المعاملات وأنواع العملة والنقود والأسعار، وبالتالي فهي مصدر كافي يلمس التطور الحادث في الأمور الاقتصادية بمختلف أشكالها.⁴

ويدون شك كان للرحلة دور في دعم التواصل الحضاري بين البلدان والأقوام، ويظهر ذلك في توطيد العلاقات بين الشعوب وحصول التعارف بينها، حيث أن الرحالة لا ينزل بوطن إلا التقى بطائفة من فضلائه، والشأن أن يصف لهم بعض من مقومات أهل بلده

¹ - حسين نصار، أدب الرحلة، المرجع السابق، ص ص 121-122.

² - عواطف بن يوسف نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز، المرجع السابق، ص 22.

³ - فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، المرجع السابق، ص 23.

⁴ - عواطف بن يوسف نواب، المرجع السابق، ص 25.

الفصل التمهيدي:..... ماهية أدب الرحلة

العلمية والاجتماعية وغيرها، وثم إذا عاد إلى وطنه وصف لأهله حالة الأوطان التي نزل بها.¹

كما أن ملاحظة الرحالة للحالة السياسية في البلاد الإسلامية، ساهم في كشف الكثير من الأمور الخاصة بعلاقة الممالك الإسلامية ببعضها البعض من جهة، وكذا بالدولة العثمانية والممالك النصرانية من جهة أخرى، وهو ما نجده في الرحلات السفارية.²

مما سبق نستنتج أهمية الرحلة في اكتساب المعارف بمختلف أشكالها، وقد لخص لنا الرحالة التمقروتي أهمية الرحلة وقيمتها فيقول:

تغرب عن الأوطان يا طالب العلا *** وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

تفرج هم واكتساب معيشة *** وعلم وصحبة ماجد

فإن قبل الأسفار ذل وغربة *** وقطع الفيافي وارتكاب الشداد

فموت الفتى خير من معيشة *** في أرض عدو بين واش وحاسد³.

من خلال ما سبق في هذا الفصل يتبين لنا أن الرحلة شكلت من القدم موروث أدبي وثقافي عند العرب عموماً وبالأخص في العصر الحديث، بحيث كان لها أهمية كبيرة في كتابة التاريخ بمختلف جوانبه، ورغم تعدد أنواعها وأغراضها وكذا مقاصدها، فإنها ظلت عوناً كبيراً للباحثين بمختلف تخصصاتهم وبالأخص المؤرخين، فهي متعددة الأخبار والمعارف وزخرت بالكثير من المعلومات التي لمست مختلف جوانب الحياة بما فيه التاريخ السياسي والاجتماعي والأدبي والديني والاقتصادي.

¹ -حسين نصار، المرجع السابق، ص125 وأيضاً: عواطف بن يوسف نواب، المرجع السابق، صص25-26.

² -حسين نصار، المرجع نفسه، ص125.

³ -علي بن محمد التمقروتي، النفحة المسكية في السفارة التركية، المصدر السابق، ص20.

المفصل الأول:

أبو سالم العياشي ورحلته ماء الموائد

المبحث الأول: سيرة أبو سالم العياشي

المطلب الأول: المولد والنشأة

المطلب الثاني: شخصيته العلمية كمتصوف وأديب وشاعر

المطلب الثالث: شيوخه

المطلب الرابع: مؤلفاته

المطلب الخامس: وفاته

المبحث الثاني: دراسة وصفية للرحلة ومسلكها

المطلب الأول: التعريف بكتاب الرحلة

المطلب الثاني: أهمية الرحلة

المطلب الثالث: خط سير الرحلة

الفصل الأول:..... أبو سالم العياشي ورحلته ماء الموائد

لقد سبقت الإشارة في الفصل الأول للحديث عن الرحلات المغاربية التي كانت في معظمها ذات مقصد ديني لأداء فريضة الحج أو ما يعرف بالرحلة الحجازية، التي تزايدت أفواجها مع مطلع القرن 11هـ و 17م كما ذكرنا سابقا، وهو القرن الذي ستبرز فيه شخصية أبي سالم العياشي (ت1090هـ)، التي سيذيع صيتها مشرقا ومغربا، كما ستشكل رحلته من أهم الكتب التي اهتم بها الكتّاب والجغرافيين، ولنتعرف على هذه الشخصية الفاعلة أكثر، حاولنا التطرق في هذا الفصل إلى جوانب من سيرة حياة أبي سالم العياشي وتتمثل في العناصر التالية: مولد ونشأة أبو سالم، شخصيته العلمية و أهم شيوخه، وكذا ظروف وفاته وأيضا لمحة عن رحلته وأهميتها واتجاه مسلكها.

المبحث الأول: سيرة أبو سالم العياشي

المطلب الأول: المولد والنشأة

أ.مولده:

ولد عبد الله أبو سالم العياشي المغربي الصوفي المالكي ليلة يوم الخميس ليلة من شعبان¹ عام 1073 هجري-1628م²، بقرية تازروفت الواقعة في الأطلس الكبير على ضفة أحد روافد نهر زير بجنوب المغرب الأقصى.³

¹ - عواطف بن يوسف نواب، كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز، المرجع السابق، ص 45.

² -E.l évi-provençal, les historiens des chorfa, emile larose éditeur, Paris, 1922, p262.

³ - محمد بن أبي سالم العياشي، إتحاف الإخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء، تح: محمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط01، 1999م، ص ص 19-21.

الفصل الأول:..... أبو سالم العياشي ورحلته ماء الموائد

ب. نشأته العلمية:

يمكن تقسيم فترة حياة العياشي إلى ثلاث مراحل كما يلي:

1. المرحلة الأولى: 1037-1059هـ

وهي المرحلة التي تلقى فيها تعليمه الأول على يد شيخ الزاوية العياشية¹، بداية من والده محمد بن أبي بكر ت (1067هـ - 1657م)، الذي ساهم في تشغيل الطفل بأمور فكرية محضة ووفر له البيئة العلمية الصالحة، وقد تعلم على يده القراءة والكتابة والقرآن واطلع على الأصول الإسلامية، كما تعلم على يد شيوخ الزاوية، ومنهم أخوه الأكبر عبد الكريم العياشي، الذي تعلم على يديه التجويد والفقه والخط والنقل.²

وقد سعى العياشي بعد اجتياز مرحلة التعليم إلى توسيع دائرة ذاكرة معارفه، حيث التحق بالزاوية الناصرية سنة (1053هـ - 1643م) بوادي درعه، وحضر فيها مجالس علماءها وشيوخها ثم انتقل إلى فاس وأخذ عن علماءها القرويين، واهتم بالدراسة والبحث والتحقق واكتسب فيها مكانة فكرية اعترف له بها شيوخه الفاسيون.³

ولم تتح الظروف التي عرفها المغرب أواخر القرن الحادي عشر إلى الارتحال، فاكتمى بالاتصال بعلمائها في جملة من الرسائل العلمية والأدبية، كأبي الحسن بن مسعود اليميني، أما مراكش فلم يزرها واكتفى بصحبة أكبر علماءها أبي بكر بن يوسف الباكستاني.⁴

وفي هذه الرحلة تقرب العياشي من شيوخ بلده وأخذ عن فقهاءه، كما تقرب إليه الطلبة خاصة من الزاوية العياشية التي جعلته ينال حصة ومكانة اجتماعية في عصره.

¹ - أبو سالم محمد العياشي، *اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر*، تح: نفيسة الذهبي، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط ، ط1، 1996م، ص 30.

² - أبو سالم العياشي، *الحكم بالعدل والإنصاف الرافع للخلاف فيما وقع بين بعض فقهاء سجدلماسة*، تح: عبد العظيم الصغيري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط1، 2015م، ص 24.

³ - أبو سالم العياشي، *اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر*، المصدر السابق، ص 30-33.

⁴ - أبو سالم العياشي، *الحكم بالعدل والإنصاف*، المصدر السابق، ص 24-25.

الفصل الأول:..... أبو سالم العياشي ورحلته ماء الموائد

وقد قام برحلة حجازية أخرى¹ اطلع فيها على الثقافة العربية الإسلامية في الحواضر المزدهرة كالقاهرة والمدينة المنورة وغيرها من الحواضر إلا أنها لم تصل إلى التجربة التي كان يطمح إلى تسجيلها².

2. المرحلة الثانية: (1074-1059هـ)

لما استوعب العياشي الواقع العلمي والفكري الصوفي والأدبي في المغرب، تآقت نفسه إلى زيارة المشرق، فكانت رحلته أوائل ربيع الأول (1059هـ-1057هـ) (1649م-1653م) ميلادي، وقد اختلفت عن سابقتها في تحقيق رغباته العلمية، حيث جاد في المطالعة والحضور واتسعت فيها روايته، ولم يكتف العياشي بذلك بل قام برحلة حجازية أخرى في (1072-1661م) (1074-1664م)، وهي الرحلة التي أثبت فيها إمكانياته الفكرية فقد اتصل بعلماء المشرق ولم يترك فيها عالما ولا متصوفا إلا زاره فأجازه الكثير من العلماء. محققا بذلك تواسلا فكريا بين المشرق والمغرب، لهذا فإن هذه المرحلة كانت من أفضل مراحل حياة أبي سالم العياشي.³

3. المرحلة الثالثة: (1090-1074هـ)

وهي مرحلة التفرغ للتدريس والتأليف، حيث ذاع فيها صيت العياشي وطبعت شهرته الآفاق، فكان عالما وأستاذا ماهرا⁴، حيث حرص الكثيرون على الاستفادة منه والنهل من

¹ حَضَنَ العياشي هذه الرحلة في مادته اقتفاء الأثر الذي ألفه أواخر ربيع الأول 1068هـ تلبية لرغبة تلميذه المجيلدي وقد أجازه بها وبجميع مروياته. كما شملت كتابة ماء الموائد على أخبارها. للمزيد أنظر: أبو سالم العياشي، **الرحلة الصغرى - تعداد المنازل الحجازية-**، تحقيق ودراسة عبد الله حمادي الإدريسي، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط 01، د: ت، ص 08.

² - محمد بن أبي سالم العياشي، **الحكم بالعدل والإنصاف**، المصدر السابق، ص 33.

³ - محمد بن أبي سالم العياشي، **الرحلة العياشية - ماء الموائد-**، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، ط 01، 2006م، ج 2، ص 454.

⁴ - محمد بن أبي سالم العياشي، **اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر**، المرجع السابق، ص 34.

الفصل الأول:..... أبو سالم العياشي ورحلته ماء الموائد

علمه، ومن أبرزهم ابنه حمزة بن عبد الله العياشي¹ ت(1130هـ-1774م) ومحمد بن عبد القادر الفاسي² ت(1134هـ-1721م)، وأيضا ابن زاكور الفاسي³ الذي اخذ عنه الوظيفة الزورقية⁴.

بالإضافة إلى محمد بن عبد الجبار الفاسي⁵ ت(1090هـ-1679م) ومحمد بن سعيد المجيلدي⁶ ت(1094هـ-1683م) وقد أجاز العياشي إجازة عامة في الحديث والفقه وجميع مروياته.

¹ - حمزة بن عبد الله العياشي اعتنى بالعلوم بما تيسر له من الجاه والثروة فجمع كثيرا من الكتب توفي (1147-1130م)، محمد بن الطيب القادري، نشر المثنائي لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تح: محمد حجي، أحمد التوفيق، مكتبة الطالب، الرباط، ط01، 1986م، ج 03، ص 237.

² - أبو عبد الله بن حافظ بن زيد عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي تلقى العلوم عن أبيه وعلماء عصره، في المغرب والمشرق، توفي (1121-1134)، محمد بن الطيب القادري، التقاط الدرر مستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحدية والثاني عشر، تح: هاشم القاسمي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 01، 1983م، المصدر السابق، ص 323.

³ - محمد بن القاسم بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد أبو عبد الله ابن زاكور الفاسي ولد بفاس 1075-1664 فقيه وأديب محدث أخذ عن أعلام مدينة فاس، رحل عدة سنوات إلى الحجاز وأخذ العلم والتصوف من أعلامها. ينظر ابن زاكور الفاسي، نشر أزهري البستان فيمن أجازني بالجزائر و تطوان من فضلاء أكابر الأعيان، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص- ص13-14-117.

⁴ - ابن زاكور الفاسي، نشر أزهري البستان، المصدر نفسه، ص 107.

⁵ - محمد بن عبد الجبار العياشي، أديب وفقه خص حياته في تدريس وإفادة الطلبة بحلقة الزاوية العياشية، له مؤلفات عديدة منها زوبعة المشتاق، وهي رسالة يصل فيها آثار الأوبئة والمجاعات في المغرب 1072هـ، وله مؤلفات أخرى ككتاب الأحياء والانتعاش توفي في 1090هـ - 1679م، ينظر: محمد عبد الله الترغي، فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن 12 للهجرة منهجها تطورها، قيمتها العلمية، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، تطوان، ط01، 1994م.

⁶ - أبو العباس أحمد بن سعيد المجيلدي، ت 1094هـ، أحد علماء المغرب الكبار وقضاء العدل المشاهير فقد أخذ عن شيوخ عصره المبرزين مثل محمد بن عبد القادر الفاسي وأبي سالم كتب له فهرست يصف له فيها الطريق الذي سلكه، ينظر: محمد عبد الله الترغي، فهارس علماء المغرب، المرجع السابق، ص ص 654 - 655.

الفصل الأول:..... أبو سالم العياشي ورحلته ماء الموائد

كما دَوّن العياشي في هذه المرحلة رحلته المسماة "ماء الموائد" التي كانت ثمرة رحلاته السابقة، وكانت قد مثلت النموذج لجميع مؤلفي ذلك العهد وملح من ملامح ذلك القرن بكل تجلياته.¹

المطلب الثاني: شخصيته العلمية " كمتصوف، أديب و شاعر "

أبي سالم العياشي المتصوف: اقترنت مراحل أبو سالم العياشي التعليمية باكتساب الذوق الصوفي وانطبعت بمظاهر خلقه وطريقته، فعُرف بأنه من أكثر علماء عصره المعرضين عن الدنيا.²

وتتجلى شخصيته كمتصوف في سعيه الدائم على استغلال كفاءته التربوية بدءاً من نفسه وعائلته ومجتمعه، حيث عرف عنه أنه كان عابداً قانتاً زاهداً بالدنيا في مأكله ومشربه وملبسه.

وأسلوب حياته، دائم تلاوة القرآن كثيراً للنظم في مدح النبي صلى الله عليه وسلم متحاشياً لتعظيم المال.³

ولم يقتصر دوره التربوي والتعليمي بل تعداه إلى الوعظ الديني ومن ذلك توجيه المريدين إلى المذهب السني، والدعوة إلى الرجوع إلى قواعد الإسلام الأولى.⁴

-أبي سالم الأديب والشاعر:

لم تخلو المهارة الأدبية والتكوين اللغوي عن شخصيته أبي سالم العياشي التي تكونت عنده من خلال الحفظ والإطلاع والممارسة الدائمة⁵، وقد عرف لونه الأدبي بشعر الفقهاء الذي أظهر فيه تمكنه وموهبته الكبيرة بشهادة معاصرة وكان قرضه للشعر وهو لا يتجاوز

¹- عمر بن قينة، اتجاهات الرحالين المغاربة في الرحلة العربية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د. ط، د: ت، ص 15.

²- ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي (تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 01، 1999م، ص 377.

³-أبو سالم العياشي، إتحاف الأخلاء ...، المصدر السابق، ص ص 55- 56- 57.

⁴- محمد الأخضر ميرز السريون، الحياة الأدبية. الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية (1664-

1814م)، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 1977م، ص 91.

⁵- محمد الأخضر، المرجع السابق، ص 95- 96.

الفصل الأول:..... أبو سالم العياشي ورحلته ماء الموائد

العشرون سنة، وأغلبه كان في التصوف في جانب القصائد التعبيرية في المديح النبوي وشعره للأشواق، وما يظهر أن العياشي كان نابغة معاصريه.

وقد برهن العياشي على تمكنه في جميع ضروب الشعر وهو ما يدل عليه ديوانه الضخم، الذي جمعه الفقيه حفيده سيدي حمزة في ديوان ضخم سمّاه "الثغر الباسم في كلام الشيخ أبي سالم".¹

المطلب الثالث: شيوخه

اهتم العياشي منذ صباه بتعميق ثقافته عن طريق روافده عديدة ولعل أهم راض حقق به هذا الهدف هو لقاء الشيوخ والعلماء بمختلف مشاريعهم وتخصصاتهم العلمية.

ومن أبرز شيوخه وأكثرهم تأثيرا في تكوينه العلمي ووالده محمد بن أبي بكر العياشي الذي خصّه في التقديم والفضل في فهرسته فيقول: "قرأت عليه القرآن العظيم غير ذا مرة وسمعت عنه وظيفة الشيخ زروق ولقنني دعاء التوبة للشاذلي".²

ومن شيوخه المغاربة أيضا عبد القادر علي الفاسي وأبو العباس أحمد والشيخ محمد بن محمد بن ناصر الدرعي، وأبو بكر السجستاني المراكشي ت 1063هـ، وقد بلغ عدد شيوخه بالمغرب خمسة عشر شيخا.

ومن جملة شيوخه ممن التقى بهم في المشرق بمصر سيدي علي الأجهوري¹ 1066هـ. وإبراهيم الشيخ ابن الشيخ شمس الدين الميموني² والشهاب الدين محمد بن الخفاجي ت(1069هـ)، كذلك محمد بن عبد الخرشي وقد أجازه جميعهم وأجازوه.³

¹ -أبو سالم العياشي، اقتفاء الأثر، ص 327.

² -أبو سالم محمد العياشي، مخطوطة اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر، رقم مخطوطة: 1/33، مؤسسة الملك عبد العزيز

³ -الدار البيضاء-المغرب، 1966م، ص 05. الرابط <https://www.ahlalhideeth.com> حمل بتاريخ 24 ماي 2019-11:45.

الفصل الأول:..... أبو سالم العياشي ورحلته ماء الموائد

أما شيوخه في الحجاز فقد التقى بالعديد منهم، وأشهرهم العالم الشيخ جمال الدين الهندي النقشبندي، الذي لقيه برباط الحجاز سنة 1662م، ودرس عليه بعض المتون، كما أخذ عن عبد العزيز الزمزمي وإبراهيم الكردستاني وحسين العجمي، ونال من جميعهم الإجازات.

وهناك من الشيوخ ما تعرف عليهم في طريق الحج، ومنهم العالم عبد الكريم الفكون الذي اطلع على كتبه ومؤلفاته واستفاد منها كثيرا.⁴

المطلب الرابع: مؤلفاته

تعددت تأليف أبي سالم في مختلف المشارب وهي كالتالي:

• في الفهارس والتراجم:

1. اقتفاء الأثر، بعد ذهاب أهل الأثر، وهي أول ما ألفه العياشي في هذا الباب ووضعه ك فهرست في كتابين: كتبها العياشي كإجازة إلى القاضي أبي السعيد المجليدي، وقد ضمت التعريف بشيوخه المغاربة والمشاركة، كما عرض فيها مروياته ومختلف مؤلفاته.⁵
2. إتحاف الإخلاء أو إجازة العلماء الجلاء لأبي سالم العياشي وهي فهرست صغرى، جمعت الإجازات التي تحصل عليها لذلك تعتبر نموذج الفهارس المغربية الشرقية شملت 15 إجازة.¹

¹ - الشيخ زين العابدين أبو الحسن الأجهوري، الشيخ المالكي في مصر، برع في الفقه والعلم والبلاغة والمنطق وألف عمرا طويلا. وأخذ عنه الكثير، توفي 1066هـ ، 1655م، ينظر: محمد بن محمد المحبي، خلاصة الأثر في أعيان الحادي عشر، دون دار نشر، د. ط، د: ت، ج 01، ص ص 45-46.

² - برهان الدين الميموني البارع في علوم التفسير والعربية والعلوم العقلية والنقلية وعلم المعاني والبيان ألف وصنف الكثير، توفي 1079هـ، ينظر: المحبي، خلاصة الأثر في أعيان الحادي عشر، المصدر نفسه، ص 46.

³ - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص ص 166-167.

⁴ - ناصر الدين سعيديوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص 376.

⁵ - محمد الأخضر مبرز السريون، المرجع السابق، ص 91،

الفصل الأول:..... أبو سالم العياشي ورحلته ماء الموائد

• في الفقه والتوحيد:

- معونة المكتسب بغية التاجر المحتسب.
- أجوبة الخليل فيها التشكيل من كلام الخليل.
- إرشاد المنتسب إلى فهم معونة المكتسب هو شرح للمخطوط السابق.
- شرح المحلى (لم يكمل).
- العلاوة في ركع محل سجود التلاوة.
- تحرير الكلام في أمر النبي صلعم في المنام.
- رفع الحجر من الاقتداء بإمام الحجر.²

• في التوحيد:

- الحكم بالعدل والإنصاف الرافع للخلاف فيما وقع سجداسة من الإخلاف في مسألة التفكير المقيد.
- الكشف والبيان في مسألة الكسب والإيقان.

• في التصوف:

- نظم في أصول الطريقة الزروقية ويسمى أيضا معارج الأصول أول الأصول، وإظهار المنّة على المبشرين بالجنة.
- تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية أو رغبة في الأعراض أو سوق العروس وأنس النفوس، أو رسالة في ذم الدنيا.³

¹- عبد السلام عبد القادر بن سودة المري، دليل المؤرخ المغرب الأقصى، دار الفكر للطباعة والنشر، الرباط، ط01، 1997م، ج1، ص 192.

²- محمد الأخضر، المرجع السابق، ص 90-91.

³- أبو سالم العياشي، اقتفاء الأثر بعد زهاب أهل الأثر، المصدر السابق، ص 67.

الفصل الأول:..... أبو سالم العياشي ورحلته ماء الموائد

• في النحو واللغة:

- رسالة لو الشرطية وقد أوردتها في رحلته ماء الموائد.¹

• في الشعر والمديح:

أ. في السيرة والمديح النبوي: لم يجمع العياشي أشعاره بل جاءت متفرقة في

المصادر العربية ومن بينها رحلته ماء الموائد ومنها:

- الكواكب الدرية في مناقب شرف البرية.
- قصائد في مدح الدين بحور الخليل.
- الشعر الباسم في جملة من كلام أبي سالم العياشي، وفي كتبها لحفيده حمزة بن محمد بن أبي سالم.
- الإحياء والإنعاش في تراجم سادت زاوية آيت عياش.
- ب. الترسل: وهي رسائل تمزج بين الشعر والنثر وجهت معظمها لتلامذته لأغراض علمية متعددة.

- الرسائل الإخوانية.²

المطلب الخامس: وفاته

توفي العياشي ضحى يوم الجمعة 18 من ذي الحجة القعدة عام 1090هـ/1679م

متأثرا بمرض الطاعون عن عمر يناهز الثلاثة والخمسين وعدة أشهر.³

¹-محمد بن قاسم بن مخلوف، شجرة النور الزكية في الطبقات المالكية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002م، ص 455.

²-أبو سالم العياشي، الحكم بالعدل والإنصاف، المصدر السابق، ص ص 49-51.

³-الأفراني، صفوة من انتشار...، المصدر السابق، ص 330.

الفصل الأول:..... أبو سالم العياشي ورحلته ماء الموائد

المبحث الثاني: دراسة وصفية للرحلة ومسلكها

المطلب الأول: التعريف برحلة ماء الموائد

تعتبر رحلة ماء الموائد من أهم رحلات أبي سالم العياشي التي دون فيها وقائع رحلته، والتي دامت حوالي سنتين ونصف، بداية من خروجه من زاويته يوم الخميس ربيع الثاني عام 1072هـ-1661م، إلى حين رجوعه إليها مغرب الأربعاء من شوال عام 1074هـ، 1663م، مضيفا إليها بعضا من أخبار رحلتيه السابقتين.¹

و تمثلت رحلته كما هو حال باقي الرحلات الحجية في سفرين، أولها رحلة الذهاب والثانية رحلة الإياب، وسماها "بماء الموائد"² (أنظر الملحق 01)

وقد طبع جزء من الرحلة العياشية أو ماء الموائد على الحجر في مجلدين سنة 1376هـ-1998م وهي منشورة بفاس وأعيد طبعها بالرباط سنة 1390هـ-1977م، بدار الغرب وقام محمد حجي بوضع فهرس لها.³

المطلب الثاني: أهمية الرحلة

حضت رحلة أبي سالم العياشي بالكثير من الاهتمام من قبل الباحثين والدارسين، فقد اعتبرت مصدرا لدراسة الظواهر الثقافية والعلمية والاجتماعية والسياسية وخاصة خلال الفترة

¹- شرف موسى، " أخبار العلم والعلماء بأرض الحجاز من خلال العلاقات المغربية رحلتي أبي سالم العياشي، وابن الطبيب الشرقي والهالي نماذج"، قضايا تاريخية، ع06/ 2017م، ص 27.

² - يذكر خالد التوزاني أن هذه التسمية نسبت لماء زمزم الذي عادة ما يقدمه الرحالة المغربي لأهله، إثر عودته للحج غير ان العياشي، أراد أن يكرم ضيوفه بتشجيع فكرهم ووجدانهم من لطائف زيارته الحجية بهذا الدون، ليظهر جوده في موائد الحكى وتصبح رحلته نوع من الإيثار والكرم، ينظر: خالد التوزاني، الرحلة وفتنة العجيب بين الكتابة والتلقي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 01، 2017م، ص99.

³- ناصر الدين سعيديوني، المرجع السابق، ص380.

الفصل الأول:..... أبو سالم العياشي ورحلته ماء الموائد

التي غطتها الرحلة من أحداث القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين، حتى عهدها بعضهم من أعظم رحلات المغرب العلمية والحجازية.¹

تميّزت الرحلة العياشية بالتنوع فيما تعرضه من أخبار ومعارف التاريخية الأمصار التي زارها على طوال الخط الذي سار فيه إلى الحج، حيث وصف لنا المدن والعمران والطرق والمسالك والأسواق كما ضمن رحلته بأخبار الأقوام والجماعات البشرية ماضيا وحاضرا، فعرض محاسنها ومساوئها، عاداتها وتقاليدها، طقوسها الدينية وطرائق عيشها.²

كما أنها جادت بمكاسب علمية وأدبية شملت معلومات من المعارف والعلوم كالأشعار والنصوص العلمية الفريدة والنادرة، بالإضافة إلى ذكر بعض المسائل الفقهية والأحاديث التي كان يرويها، في مواقف مختلفة، كما جرّد قلمه فيها فعزّف ببعض الأعلام من شيوخه وتلامذته ممن أسهموا بإثراء معارفه وتزويده بالروايات والأخبار، بالإضافة إلى مناقشة القضايا الشائعة زمن المؤلف.

أما فائدتها الكبرى فهي تأريخها للأحداث المتنوعة، حيث قدمت معلومات وجيزة و أخرى مفصلة عن الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية،³ كل هذه المعلومات قدمها العياشي في أسلوب جديد في فن الكتابة الرحلية، ما جعلها بحق "دائرة لمعارف فريدة من نوعها".⁴

¹ -عبد السلام بن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، المرجع السابق، ج2، ص362.

² -عبد القادر زمامة، "مع أبي سالم العياشي في رحلته إلى المشرق"، مجلة المناهل، ع 25 / 1982م، ص 87.

³ -أبو سالم العياشي، إتحاف الأخلاء ...، المصدر السابق، ص ص55-56.

⁴ -كرانتشوفسكي، المرجع السابق، ص732.

الفصل الأول:..... أبو سالم العياشي ورحلته ماء الموائد

المطلب الثالث: خط سير الرحلة

تباينت طرق انطلاق الرحالة المغاربة للحج، بين الطريق البحري وبين الطريق البري ، وهذا الأخير انقسم بدوره إلى طرق عديدة ومنه طريق الواحات، الذي يتوغل في أعماق الصحراء.(أنظر الملحق رقم 2).

ولم يكن هذا الطريق مجازا للذهاب والإياب فقط، بل كان في عمقه -فضلا عن دوره الاقتصادي- طريق ثقافي تاريخي للمنطقة عامة والواحات الوسطى الجزائرية بالخصوص.¹

وقد اتخذ العياشي هذا الطريق في سفره إلى الحجاز متبعا اتجاهين شمالي جنوبي، بدءاً من سجلماسة إلى أن توغل في الصحراء ووصل إلى واحات توات مسائرا وادي جير ووادي الأساور (وادي الساورة)، ووادي طمغاب، ثم اتبع طريق شمالي شرقي من أوقرت² إلى الدغامشة³ فالقليلة (منيعة) وورقلة، ثم إلى تماسين وتقرت (حاليا تابعة لورقلة) ومنها إلى نفاوة بالمغرب الأدنى إلى أن وصل للمشرق ثم الحجاز وبيت المقدس.⁴

أما بالنسبة إلى طريق العودة، فقد اختار العياشي اتجاه آخر غير الأول، وهو طريق الهضاب الداخلية، وهي الطريق الأشهر والأكثر مسلكا من قبل الحجاج، خاصة من مقطوعها الشرقي لبلاد الزاب، حيث مرّ بسيدي عقبة فبسكرة والأغواط، مروراً بعين ماضي⁵،

¹ -بوسليم الصالح وبن قايد عمر، "الأضرحة والمزارات في الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات المغربية"، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع21/ د: ت، ص 268.

² -أوقرت (أو بلاد الخنافس) عبارة عن 14 قصر معظمها على الضفة اليسرى لوادي إيمكيدن، وهي أرض خصبة بها نخيل كثيف، من أهم مراكزها زاوية سيدي عمر، يتردد على أسواقها الكثير من القبائل كقبائل الأغواط وأولاد سيدي الشيخ، ينظر: مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص71.

³ - هي عبارة عن مجموعة من القصور على بعد 20 كلم غربي منطقة دلدون، المرجع نفسه، ص 70.

⁴ - نفسه، ص 25.

⁵ - من بلاد الأغواط تقع بمحاذاة جبال العمور الجزائرية، وليس بعيد عنها يعبر بها الركب المغربي الفاسي، ليتفق مسيره مع مسير الركب السجلماسي، ينظر: أحمد بوسعيد، طريق الصعاليك في روايات الرحالين المغاربة خلال القرنين 11 و12 و17 و18م، مركز البحوث والدراسات الإفريقية مؤتمر طريق الحج، جامعة إفريقيا العالمية، 2016، ص4.

الفصل الأول:..... أبو سالم العياشي ورحلته ماء الموائد

الغسول وبوسمغون¹ ووادي النقاوس، حتى الوصول إلى فقيق²، وكان ذلك يوم الأربعاء
ظهرًا، السابع عشر شوال من سنة أربع وسبعين ألف هجري.³

مما سبق من حديث في هذا الفصل حول سيرة أبو سالم العياشي ورحلته، نستخلص
أنّ العياشي يعدّ من أهم الشخصيات التي عرفت بأعمالها وإنجازاتها، حيث برز اسمه في
أشهر كتب التراجم، لما له من مساهمة علمية ثقافية في جلّ الربوع الإسلامية وخاصة
المغربية، بداية من زاويته العياشية التي نالت شهرة في ذلك العصر، حيث كانت مقصدا
لكل طالب علم، كما لا ننسى مؤلفاته الكثيرة والمتعددة التي ساهمت في تنشيط الحياة
الفكرية لمختلف المجالات الدينية واللغوية والشعرية، خاصة الكتب الرحلية ومنها رحلته
الحجازية، التي تعد مصدر إثراء لمعاجم البقاع والأمكنة ومن أسماء المدن والقرى المندثرة
مما لا نجده في كتب المعاجم الجغرافية، فهي بذلك تعدّ مصدر أساسيا للتأريخ لتلك المناطق
التي مرّ عليها خاصة الجزائر.

¹ - تقع جنوب غرب الجزائر، وهي بلاد ذات أشجار سميت "باسمغون" على اسم شيخ صالح حلّفيها، وهناك قبره يزار من
طرف الحجاج المغربية، ينظر: أحمد بوسعيد، طريق الصعاليك في روايات الرحالين المغربية، المرجع السابق، ص5.

² - أحمد بوسعيد، ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني، 1518-1830م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم
في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة العلوم، جامعة أحمد دراية، أدرار 2017-2018م، ص129.

³ - أبو سالم العياشي، الرحلة الحجية الصغرى، المصدر السابق، ص11.

المفصل الثاني:

الأوضاع السياسية السائدة على ضوء كتاب الرحلة:

المبحث الأول: طبيعة الحكم العثماني في الأقاليم الصحراوية

المبحث الثاني: نظام المشيخة وأمراء الأسر المحلية

المبحث الثالث: أهم الأحداث السياسية عصر المؤلف

الفصل الثاني:..الأوضاع السياسية السائدة على ضوء كتاب الرحلة

ألقت هذه الرحلة لمحة عن الظروف السياسية لدول المغرب العربي خلال القرن 11هـ 17م، خضع فيه المغرب الأقصى آنذاك لحكم العلويين في عهد السلطان محمد الشريف العلوي الذي حكم المغرب ما بين (1664-1667م)، بينما خضعت كل من تونس والجزائر لسلطة الأتراك¹. كما سمحت الرحلة بمعرفة الصورة الحقيقية للأوضاع السياسية في الأقاليم الصحراوية، ومنها أشكال الممارسة السياسية للسلطة العثمانية، ومدى قوة نفوذها، كما أبرزت العلاقة التي ربطت حكام الأتراك والأمراء المحليين أو الأسر الحاكمة من جهة، ومع الأهالي من جهة أخرى.

المبحث الأول: طبيعة الحكم العثماني في الأقاليم الصحراوية

المطلب الأول: في إطار فرض التبعية السياسية

أبرز أبو سالم العياشي في رحلته موقفه اتجاه العثمانيين وسياستهم، واعتبر وجودهم في غالبيتهم "ظلمًا لا ينكر"²، ويتجلى موقفه هذا بسبب السياسة التعسفية التي طالت الأهالي، ومنها الضرائب التي اعتبرها العياشي "أكل لمال السلطان في غير شيء"³، شاملاً في ذلك حتى عساكر الأعراب التي استخدمتها السلطة المركزية لجباية المطالب الضريبية من الرعية، كما هو الحال في بلاد الزيبان ببسكرة، فقد وصف العياشي الوضع السياسي فيها منذ البدايات الأولى للعثمانيين لضمّها، فقال: "ولم يستتب لهم ذلك إلا بعد

¹ فاطمة بلهوارى، "وصف الجنوب الصحراوي في ظل الحكم العثماني من خلال مخطوط الرحالة ابن العباس السجلماسي"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج 6، ع 70/2018م، ص 42.

² أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، المصدر السابق، ص 284.

³ المصدر نفسه، ص 159.

الفصل الثاني:..الأوضاع السياسية السائدة على ضوء كتاب الرحلة

استيلائهم على الماء الذي به حياة البلد، " إلى أن يقول : " فتملكوا البلاد وضروا بأهلها وأجحفوا بهم في الخراج، ولم يقدرُوا على الخروج عليهم، فاجتمعت عليهم غارة العرب من الخارج وظلم الترك من الداخل " ¹.

أما بالنسبة إلى مناطق وادي ريغ الأخرى، مثل وادي سوف وورقلة وتقرت وأقاليم وادي ميزاب، فقد كان النفوذ العثماني فيها متذبذباً وغير مستقر، وقد سبق أن تعرضت إمارات هذه الربوع هي الأخرى للحملات العسكرية، بحيث عمدت الإدارة التركية لهذه السياسة المتمثلة في شن الحملات الانتقامية المفاجئة بين الحين والآخر، وذلك عندما تظهر من تلك القبائل بوادر الامتناع عن تقديم المطالب المخزنية ².

ومن هذه الحملات نذكر حملة يوسف باشا في 1646 م على إمارة ورقلة وتقرت. والتي تزامنت مع رحلة العياشي، وبالرغم من معلوماتنا القليلة حول تفاصيل هذه الرحلة، إلا أن نتائجها عكست استمرارية النفوذ العثماني في المنطقة، وقد تجسد ذلك من خلال الإتاوة ³ التي كان يدفعها الأهالي للخزينة العثمانية، ومن ثم الالتزام بالولاء لها، ⁴ غير أن

¹ - أبو سالم العياشي، *الرحلة العياشية إلى الديار النورانية*، تح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د. ط، د: ت، ج2، ص ص 523-524.

² - مثل الحملة التي وجهها صالح رايس نحو ورقلة وتقرت سنة 1552م، وذلك من أجل توسيع دائرة الجباية في تلك المناطق حيث ضمت توقرت بعد مقاومة شديد من أهلها، أما ورقلة فبادرت بالإذعان للسلطة المركزية دون مقاومة، ينظر: حمو محمد عيسى النوري، *دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديماً وحديثاً*، دار البعث، قسنطينة، 2013م، ج1، ص236.

³ - ضل هذا الالتزام قيمة رمزية فقط في الواقع، دفعه الأهالي لتقييم الحملات العسكرية التركية الذين اعتبروها من جهتهم عربون ولاء لهم ومن هنا نستنتج أن الأتراك لم يهتموا بقيمة الضريبة بقدر ما كان اهتمامهم بالولاء والتبعية، ينظر: جميلة معاشي، *الأسر الحاكمة بابلك الشرق الجزائري من القرن (19-16م)*، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د. ط، د: ت، ص72.

⁴ - الطاهر بوخدة، "دور الأتراك في انبعاث ووحدة الدولة الجزائرية الحديثة"، *مجلة العصور الجديدة*، ع11-12/2013-2014م، ص203.

الفصل الثاني:..الأوضاع السياسية السائدة على ضوء كتاب الرحلة

هذا الولاء لم يتجاوز التبعية الاسمية، لإبداء فروض الطاعة للسلطان العثماني في خطب الجمعة¹، ويتجلى هذا فيما أورده العياشي في رحلته عند نزوله بورقلة لصلاة الجمعة بجامع المالكية، حيث دعا الإمام في خطبته " للإمام المهدي، ثم للسلطان الأعظم الخاقان الأفخم محمد بن إبراهيم بن مراد، ثم سلطان بلده مولاي علاهم"²، ويفهم من قول العياشي أن السلطة المركزية لم يكن لها نفوذ فعلي على إمارة بني جلاب وما جاورها، سوى ما كانت تفرضه من جباية والاعتراف بالسلطان العثماني الذي يتجلى للجمهور في خطبة الجمعة بذكر اسمه باعتباره خليفة لجموع المسلمين، وهذا يعني أن التبعية كانت روحية فحسب وغير مباشرة.

وهو ما أكدّه أبي سالم في حديثه عن أمير تماسين بتقرت فيقول: " أنه كالمستقل في بلده"³ مما يؤكد أن الإمارة كانت مستقلة في شؤونها السياسية.

وفي موقع آخر يشير العياشي إلى استقلالية إمارة بني جلاب عن السلطة العثمانية، إلى حد وصفها بالمملكة فيقول: "... ولأمير البلد حكم نافذ في أهل مملكته والأعراب الذين يردون عليه"⁴، وهذا القول يدعم ما سبق الإشارة إليه.

وهذا الأمر نجده عند غيره من الرحالة مثل الرحالة الأغواطي في حديثه عن منطقة جبل عمور التي كانت مستقلة عن الحكم العثماني وهو ما يظهر في قوله: " فإن أهلها لا يحكمهم سلطان"⁵.

¹-ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر، 2008م، ص481.

²-أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، ص114.

³-المصدر نفسه، ص119.

⁴-نفسه، ص122.

⁵-ابن الدين الأغواطي، رحلة الأغواطي في شمال إفريقيا والسودان والدرعية، تر، و تح: أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط:خ، 2011م، ص89.

الفصل الثاني:..الأوضاع السياسية السائدة على ضوء كتاب الرحلة

أما إقليم توات الواقع غرب الجنوب الجزائري، فلم تمتد إليه السلطة العثمانية إلاّ لجمع الضرائب بطبيعة تواجدها في تخوم الصحراء¹، كما هو الحال في المناطق المستقلة عن أي وصاية سياسية خارجية وهو الوضع الذي يطلق على تسميته ببلاد "السيية" أو البلاد المتروكة، في إشارة إلى أنها منطقة مجرّدة من الخضوع السياسي بسبب صعوبة جغرافيتها ووجودها في تخوم الصحراء² وهذا ما يؤكده لنا رحالتنا بخصوص هذا الوضع، فهو لم يحدد بعض جهاتها وعمالتها لأي جهة سياسية سواء المغربية أو الجزائرية.

فعند وصوله لمنطقة تسابت³ وزيارته للولي محمد بن الصالح متحدثا عن شيخ هذا الولي "قائلا: "دفين مكناسة مغربنا"⁴ وهذا في إشارة إلى أن تسابت وما جاورها لا تتبع مغربه الأقصى، ليشير بعد ذلك إلى تعامل أهلها في تجارتهم بعملة مسكوكة باسم السلطان العلوي فمن قوله: "...ويقولون للمثقال الأربعيني مثقال شريفي نسبة للأمير الشريف صاحب سجلماصة" ثم يتبع بقوله: "وكل هذه البلاد في طاعته"⁵، ونستشف من قوله أن الحكم العثماني في المنطقة كان أقرب إلى الضعف وربما هذا العامل كان سببا

¹ -ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، المرجع السابق، ص252.

² -محمد برشان، "الصحراء في أعمال الشيخ المهدي البوعبدلي إقليم توات أنموذجا"، مجلة دراسات، مخبر الدراسات الصحراوية، ع01/ د: ت، ص205.

³ - تقع هذه المدينة بالقرب من جنوب الدغامشة على نحو 30 كلم عن وادي لساورة وهي مجموعة من "القصور" ومنها "عريان الراس"، ينظر: مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة، المرجع السابق، ص69.

⁴ - لقد كان العياشي شديد الملاحظة ودقيق في مجال تحديد نفوذه وربما يعود سبب تجاهله لهذه المنطقة ما شهدته من أحداث واحتكاكات عسكرية بين الأتراك الجزائري والمولى محمد بن شريف، ويفيد هذا التجاهل لميولات العياشي الوجودية وتبرير ما عكسه من تفاعل وانفتاح للسلطة العثمانية، ينظر قادة دين، "الحدود الجزائرية المغربية عبر التاريخ"، مجلة عصور الجديدة، مج07، ع27/2018م، ص207.

⁵ -أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص79.

الفصل الثاني:..الأوضاع السياسية السائدة على ضوء كتاب الرحلة

في توغل النفوذ العلوي في هذه الجهات¹، فقد أشار في حديثه عن توكورارين² بعد تحديده لقراها طبيعيا واقتصاديا في أن قسم منها خاضع للسلطة العلوية أيام المولى محمد الشريف، فيقول: "وهي آخر البلاد التي تحت طاعة الشريف صاحب سجلماصة"³.

ويذكر الزياني حول هذه المسألة، أن محمد الشريف في إطار توسعته نحو الصحراء قد أغار على الجنوب الغربي للجزائر حتى وصل إلى الأغواط وعين ماضي، وقد ساعده في ذلك استتكار رعاياها من القبائل الجزائرية التي طالتها الحملات الجبائية العثمانية⁴.

ومن هنا فإن تلك المحاولات الحثيثة لبسط النفوذ العثماني أو المغربي في كل من تقرت وتوات، قد تعارض مع رغبة أهاليها في الاستقلال ومقاومة أي شكل من أشكال التدخل المباشر.

المطلب الثاني: في إطار حفظ المصالح بين الأطراف من خلال التبادل التجاري

إذا اتسمت الحملات العسكرية العثمانية بطابعها السلبي من أجل بسط النفوذ، فإنها عملت أيضا على التقرب منها في إطار سياسة تجمع المصالح المشتركة، وذلك

¹ - وأول من دخل توات من الملوك العلويين المولى الشريف محمد بن علي الشريف ت(1075هـ) بعد أن وجه لها حملة لـ 4 أشهر أرغم من خلالها أهل توات على دفع إتاوات للمخزن العلوي، ينظر: عبد الرحمان باعثمان، القضاء في منطقة توات خلال القرنين 17 و18م، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ الحضارة الإسلامية، كلية العلوم السياسية لجامعة وهران، محمد بن بلة 01، 2015-2016م، ص 104.

² -معناها باللهجة المحلية "المخيمات" وتعرف الناحية ببوقرارة، مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص 71.

³ -أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص 107.

⁴ -قادة دين، "الحدود الجزائرية المغربية عبر التاريخ"، المرجع السابق، ص 212.

الفصل الثاني:..الأوضاع السياسية السائدة على ضوء كتاب الرحلة

بتشجيع قبائل البدو بالهجرة المؤقتة لمناطقها في الشمال لربط التبادل التجاري معها، كون الأخيرة هي الأخرى كانت تبحث عن المراعي الخصبة لمواشيها وكذا لتصريف منتجاتها¹

فإقليم تقرت الذي تمركز في محورين تجاريين، طريق شرقي غربي وآخر شمالي جنوبي كان يربط الصحراء بموانئ الشمال في الجنوب،² وقد وصفه رحالتنا باستتبابه على الأمن وكثرة الأرباح التي يحصل عليها التجار بواسطة، "إذ يكفي التاجر الواحد، رحلة أو رحلتين كي يصبح من الميسورين".³

ونظرا لهذا الموقع تحتم على أمرائها المحليين بالتعامل مع مدن الشمال الخاضع للنفوذ العثماني المباشر، وذلك بالسماح لها بالتردد على أسواقها ومراعيها مقابل دفع ما يجب عليها من ضرائب⁴ مثل قبائل الأعراب الأرباع، التي صادفها أثناء دخوله إلى ورقلة⁵ وقبائل أخرى كانت لها اتصالات منظمة مع رجال البايك والذي بدون شك كان وسيلة غير مباشرة لإقرار سلطتهم ونفوذهم على جلّ المناطق في الجنوب⁶.

من خلال ما سبق يتضح لنا أن الحكم العثماني في الأقاليم الصحراوية لم يكن مستقر أو محدد المعالم، فالمظهر الأول القائم على فرض الحملات على الإمارات المتمردة أو المستقلة، راجع لعدم استيعاب الحكام للنظام القائم على سلطة المشيخة،

¹ -ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث ...، المرجع السابق، ص485.

² - محمد معمر، "علاقة بني جلاب سلاطين تقرت بالسلطة العثمانية بالجزائر"، مجلة الحضارة الإسلامية، ع12/د: ت، ص24.

³ - ناصر الدين سعيدوني، "ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني"، مجلة أصالة، ع1977/41، ص85.

⁴ - لعل هذا الوضع جعل من إمارة بني جلاب تحرص على دفع الضرائب المفروضة عليهم في أغلب الأوقات لاستيعابها بأن التمرد أو الانشقاق على حكام الإيالة سيؤدي إلى قطع سبيل التجارة معهم أو فرض الحصار التجاري عليها وبالتالي الإضرار بهم، للمزيد ينظر: جميلة معاشي، الأسر المحلية في بايلك الشرق، المرجع السابق، ص78. وأيضا: ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص236.

⁵ -أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص114.

⁶ -ناصر الدين سعيدوني، "ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني"، المرجع السابق، ص80.

الفصل الثاني:..الأوضاع السياسية السائدة على ضوء كتاب الرحلة

ولعل ذلك جعلها تكتفي بالتعامل مع شيوخها المحليين، والاقتصار فقط على التعامل التجاري الذي يجمع المصالح المشتركة بين الطرفين.

المبحث الثاني: نظام المشيخة وأمراء الأسر المحلية

المطلب الأول: التنظيم المشيخي وخصائصه:

لقد أعطى الرحالة صورة عن طبيعة التنظيم الإداري السائد في الإمارات التي تكونت سلطتها في المناطق الصحراوية، مشكلة مجموعات عشائرية منها ما يخضع للباي مباشرة ومنها ما يتقاسمها الأشراف كبني جلاب وابن قانة وأولاد بو عكاز، جاعلة من ذلك النفوذ نظام إداري خاص عرف بالمشيخة.¹ (أنظر الملحق رقم 3)

ومن أبرز هذه الإمارات، إمارة ابن جلاب بتقرت التي امتد نفوذها على طول وادي ريغ فيما يعرف بالقصور²، حيث كانت كلها تخضع إلى سلطة أمير تقرت³ وهذا ما أكدته الرحالة الوزان في قوله: "وتوجد حول تقرت عدة قصور...كلها مقاطعة لأمرها"⁴.

وقد وصف العياشي تنظيم المشيخة بهذه المنطقة وصفا مسهبا بقوله: "...وأمرأ هذه البلدة أولاد الشيخ أحمد بن جلاب⁵، وأسلافهم بني مرين ووالدهم هذا من أمرأ العدل

¹ هي مؤسسة اجتماعية سياسية قبلية تجمع بين السلطة والمجتمع، يتزعمها الشيخ الذي يخضع له كامل أعوان السلطة في شماله الغداري مباشرة، للمزيد ينظر: سعيد شريدي، دور المشيخة في تفعيل سلطة الدولة في الجزائر خلال الفترة العثمانية، (القرن 16م-19م)، مجلة منتدى الأستاذ، ع18، جوان 2011، ص251.

² هي نمط عمراني بالصحراء عبارة عن تجمع سكاني مقسم لمجموعة من الأحياء الخاصة بكل قبيلة أو عرش، للمزيد ينظر: يمينه بن صغير حاضري، قصري توقرت وتماسين خلال فترة حكم بني جلاب دراسة تاريخية أثرية، لأطروحة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والآثار، جامعة الجزائر، 2000-2001م، ص66.

³ يمينه بن صغير حاضري، قصري توقرت وتماسين خلال فترة حكم بني جلاب، المرجع نفسه، ص24.

⁴ الحسن الوزان، وصف إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، 1983، ص ص 135-136.

⁵ أحمد بن جلاب هو أول حاكم في المنطقة وقيل سمّي بجلاب لجلبة الناس بطيبته، جميلة معاشي، الأسر المحلية في بايلك الشرق، المرجع السابق، ص 69.

الفصل الثاني:..الأوضاع السياسية السائدة على ضوء كتاب الرحلة

على ما يحكى عنه، وأولاده على سيرته" من خلال قوله يتبين لنا أنّ المشيخة تقوم على شرف النسب - آل البيت-، وتخضع فيها السلطة لأسرة يتوارث أبنائها الحكم والملك، ويطلق على سلطانها ابن فلان (اسم الشيخ).

بالإضافة إلى ذلك أشار رحالتنا إلى خصوصية هذا التنظيم الذي يتصف بالبساطة، وكذا الخضوع المطلق لرؤساء القبائل فيقول: "...وليس عليهم أبهة الملك بل يخرج الأمير وحده أو مع رجلين، وهو عند أهله كواحد منهم في جلوسه وكلامه، يتوصل إليه كل أحد "إلى أن قال: "...ولأمير البلد حكم نافذ في أهل مملكته والأعراب الذين يردون عليه".¹

وقد استدل العياشي على يقظة أمير تقرت للبلاد، وفرضية الطاعة للحاكم على الرعية وحكمه النافذ على المنطقة²، فقد جاء على لسانه مشيراً إلى ذلك فيقول: "ضاعت لنا جملان من الركب ليلة رحيلنا فبلغ الأمير الخبر وبعث الحرس حتى أتوا بالإبل"³، من خلال كلامه يتبين لنا مدى حرص الشيخ الذي يعتبر العين الساهرة على أمن سلطته وعشيرته، حيث يعلم بكل شاردة وواردة تطرأ في قبيلته، وفي محيطها القريب⁴.

أما ورقلة فقد احتفظت بنظام داخلي محلي مستقل في عهد أميرها علاهم، حيث يذكر لنا العياشي أن له صلة مع بني جلاب، "فإن أمه أخت الشيخ احمد بن جلاب"⁵، وأشار العياشي إلى خضوع هذه الإمارة لمشيختهم بتقرت، ويتضح هذا في حديثه عن

¹ -أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص122.

² - Féraud (L-Charles), " Les Ben Djellab Sultans de Tougourt", R. A, N135, Alger, 1879, pp165-166.

³ -أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص122.

⁴ -سعيد شريدي، "دور المشيخة في تفعيل سلطة الدولة في الجزائر"، المرجع السابق، ص266.

⁵ -أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص 115.

الفصل الثاني:..الأوضاع السياسية السائدة على ضوء كتاب الرحلة

مقوسا القريبة منها"...وارتحلنا من واركل(ورقلة) ونزلنا بلدة قريبة منها على نصف مرحلة تسمى مقوسا، وهم من طاعة وادي ريغ (بن جلاب) لا من طاعة واركل".¹

لقد عرف عن فترة مشيخة علاهم بتحقيقها للتآلف بين العامة وبين نمط الحكم السائد فيها، ومن مظاهر ذلك التسامح الديني مع جماعة العزابة الروافض، هذه الطائفة كان لها مجلس خاص يعرف بمجلس العزابة²، والذي ساهم في دعم مشيخة آل علاهم في تلك المرحلة السياسية في صراعه مع أولاد جلاب، وهذا التسامح عبّر عليه العياشي متحدّثا عن هذا الأمير فقال: "وهذا من رقة الديانة وخيانة الأمانة".³

المطلب الثاني: نظرة أبو سالم العياشي لسلطين الأسر المحلية

لقد كثرت أوصاف التقدير والإعجاب بالأمراء المحليين في رحلة العياشي، لما كانوا يقومون به من أعمال حسنة.

ومن ذلك وصفه لأمير ورقلة "مولاي علاهم"⁴ الذي عرف بحسن سيرته ولين الجانب ودمائة أخلاقه⁵ فقام العياشي بمدحه وببيتين من الشعر وأثنى عليه قائلا:

¹ - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص119.

² - العزابة الإباضية، وهي مشيخة دينية بورقلة، شبه قائمة بذاتها يتولى مجلسها الشؤون والقضايا المتعلقة بالشرع الإسلامي وبناء المجتمع، وكان يقوم عليها شيخ إمام بالإضافة إلى بعض الأعيان من العلماء الإباضية، ينظر: بكير بن سعيد أعوش، وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية دينيا تاريخيا اجتماعيا، المطبعة العربية، د. ط، 1991م، ص ص105-106.

³ - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص116.

⁴ - مولاي علاهم بن مولاي محمد، وهو ثالث حكام أسرة آل علاهم بعد أبيه، فمكث في الولاية تسعا وعشرين سنة أحد خلالها إصلاحات جمة، تميزت فترة حكمه بالشدّة، ينظر: الأزهاري عاز، نظام المشيخة في ورقلة بين العهدين العثماني والفرنسي 1603-1884م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، 2013-2014م، ص42.

⁵ - سعاد آل الشيخ، "جوانب من الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية بالجزائر العثمانية من خلال كتابات بعض الرحالة المغاربة"، مجلة التراث، ع 29، مج1، ديسمبر 2018م، ص438.

الفصل الثاني:..الأوضاع السياسية السائدة على ضوء كتاب الرحلة

فإن ولاية الأمر في كل بلدة *** كثير لكن الأمير علاهم

علاهم علاهم إذ تحلوا بحلية *** من العدل والممدوح رقم حلاهم¹

وقد انطبق الأمر على حكام عمالته، فهذا صاحب القليعة يصفه قائلا: "همته على

قدر همّة مستعمله".²

وقد أثنى العياشي في وصف أمراء تقرت لأخلاقهم الحسنة وابتعادهم عن كل

الصفات الذميمة، وجعلهم أعدل الأمراء الذين رأهم على الإطلاق، فيقول: "...وكان والدهم

هذا سيدي الشيخ من أمراء العدل على ما يحكى عنه، وأولاده على سيرته لا يقدمون على

أمر إلا بعد سؤال متفقّهم...، ولو كان عندهم من يحملهم على شريعة يدلهم عليها،

لأقاموا الدين على وجهه، وهم أعدل ما رأينا من الأمراء"، وانطبق هذا الأمر على أهل

البلد من فقهاء وغيرهم.

كما أشار العياشي، إلى أن شيوخ البلد اهتموا كثيرا بالثقافة والعلم والفقه، وفتحوا

إمارتهم للعلماء والفقهاء واهتمام بعضهم بجمع الكتب والمؤلفات، فيقول على لسان إمام

المسجد الذي رافق العياشي إلى مكتبة الأمير بورقلة: "أن صاحبها لا يمنع من أراد

الحصول عليها"، وقد رحّب أمير ورقلة وأدخلهم إلى كتبه وسمح له بالإطلاع عليها.³

¹—أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج1، صص 117-118.

²—أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية الى الديار النورانية، المصدر السابق، ج1، ص67.

³—أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، المصدر السابق، ج1، صص 117 - 118.

الفصل الثاني:..الأوضاع السياسية السائدة على ضوء كتاب الرحلة

المبحث الثالث: الأحداث السياسية عصر الرحلة والرحالة

المطلب الأول: الأوضاع الداخلية

لقد اختصر العياشي الوضع العام الذي ميّز الفترة التاريخية من القرن (11هـ-17م)، ووقع على بعض مخلفات الفتن التي كثيرا ما كانت تحصل بين أبناء المنطقة، ويتأكد هذا في الصراع الحاد الذي كثيرا ما كان يحدث بين الأسر والقبائل التي كانت تقاسم النفوذ والسلطة في المنطقة الصحراوية.¹

ومن هذه الصراعات ما نقله لنا صاحب الرحلة بين أمراء تقرت وورقلة، فأثناء نزوله بهذه الأخيرة، تصادف مع وقت كانت تعاني أثنائها اضطرابات سياسية فيقول في ذلك أنه "...قد خلا منها كثير من الناس... بسبب فتنة قبل وصولنا بنحو شهرين"²، ويبدو أن هذه الفتنة هي مؤامرة ضد الأمير مولاي علاهم، دبرها له أفراد حاشيته من الأعيان الأشراف، وسماهم العياشي "بيضة البلد وعصبة أهلها"، وهم مغاربة من بقايا الأدارسة وبني مرين والسعديين الذين كانت لهم امتيازات واسعة، وعاشوا حياة الترف والقدح، وجمعوا ثروات ضخمة فشكّلوا بذلك قوة مناهضة مهيمنة على مقاليد الأمور.³

في خضم ذلك كان الأمير يترصد بهم فأراد الحد من نفوذهم، ليقوم هؤلاء بالتآمر عليه لخلعه، غير أن الأمير أستطاع كشف أمرهم واستعان بسواد الناس من رعيته الذين بفضلهم استطاع "مولاي علاهم" الحفاظ على سلطته⁴، فيقول أبي سالم العياشي عن

¹- جميلة معاشي، المرجع السابق، ص72.

²- أبو سالم العياشي، رحلة العياشي ماء الموائد (البييا- طرابلس- برقة)، تح: سعد زغلول وآخرون، منشأة المعارف، الإسكندرية، د. ط، د: ت، ص63.

³- الأزهاري عياز، نظام المشايخ في ورقلة، المرجع السابق، ص164.

⁴- سعد آل الشيخ، "جوانب من الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية بالجزائر العثمانية من خلال كتابات بعض الرحالين المغاربة"، المرجع السابق، ص438.

الفصل الثاني:..الأوضاع السياسية السائدة على ضوء كتاب الرحلة

ذلك: "...فاتفق مع رعيته على قتلهم كلهم، وألا يفلتوا أحدا منهم كبيرا أو صغيرا... وأمر بسد أبواب المدينة".

وقد شمل هذا الصراع حتى القبائل البدوية النازلة تحت أسوار مدينة ورقلة والتي كان لها دور في دعم هذا النزاع بفعل قوتها وانحيازها لسلطان ورقلة،¹ حيث تقدم إلى من هم خارج البلد من الأعراب وطلب منهم أن يترصدوا خارج السور ومن أفلت منهم خارج البلد قتلوه"، يقول العياشي في ذلك: "...فقام عليهم بالسيف بغتة هو ومن معه، فقتل منهم مقتلة عظيمة نحو من المائتين ولم يسلم منهم إلا من تسور جدار السور إن لم يلقيه الأعراب أو افتدى منهم".²

أما بالنسبة لموقف العياشي فقد ساء ما حدث ووصف هذه الواقعة بالدموية، وبأنها تعد هفوة من هفوات هذا الأمير، أسقطت من منزلته عند الكثير من الناس، وهذا بالرغم من خصاله الحميدة وهو ما التمس منه العياشي بنفسه.³

إلى جانب ذلك، كان موقف بعض جيرانها المشايخ مثل أنقوسا التابعة إلى وادي ريغ- وكان أهلها آنذاك في صراع مع سلطان ورقلة - معاديا من تلك الواقعة إلى حد الشك في كل من يتصل بأهل ورقلة حتى الحجيج، كما أورده العياشي بخصوص ذلك، فعند نزولهم بالمدينة منعوهم من الدخول بحجة أن الأمير أرسلهم من باب الخديعة، حيث وصلت بهم الضغينة والحقد إلى النزاع، الأمر الذي جعلهم لا ينشغلون ذلك العام سوى بالجهاد، معتبرين في ذلك أهل ورقلة كفار بسبب الفعلة المستقدمة⁴، وقد سألهم حكام

¹-مولاي بلحميسي، "مدينة ورقلة من خلال رحلة العياشي"، المرجع السابق، ص70.

²-أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية إلى الديار النورانية، المصدر السابق، ج1، ص71.

³- سعاد آل الشيخ، المرجع السابق، ص438.

⁴- محمد محمودي، صورة المدينة الجزائرية إبان العهد العثماني في رحلة العياشي المغربي، مجلة الحضارة الإسلامية، ع27، جامعة قسنطينة، د. ط، د: ت، ص222.

الفصل الثاني:..الأوضاع السياسية السائدة على ضوء كتاب الرحلة

بني جلاب عن جواز قتال أهلها في إطار تغيير المنكر وهو ما أنكره العياشي وأقر بعدم جواز ذلك، لأنه يؤدي إلى منكر أعظم منه (وهو ما سبق الإشارة إليه)¹.

وإذا بحثنا في سبب هذه الحروب والصراعات بين الزعامات المحلية، نجد أنها تعود إلى عدة أسباب منها طبيعة الدين والمذهب الإباضي السائد في ورقلة،² ومن ثم كان طموح الإمارات يهدف إلى مد النفوذ والهيمنة على المناطق على حساب الأخرى، وخاصة إذا علمنا أن حكام توقرت حاولوا فرض سلطتهم على كامل القبائل مستعملين في ذلك القوة ضد كل من يحاول التمرد ودفع ما عليه من حقوق لإمارتهم، وهذا الأمر هو الآخر بدون شك كان سبب في إشعال الحرب بين ورقلة وتقرت،³ و ساهمت هذه الصراعات القبلية إلى تردي العلاقات السياسية بين المشايخ الثلاث التي كانت متمركزة في المنطقة، والتي أصبحت نتيجة تلك الخلافات معزولة سياسيا تعاني انكماشاً اقتصادياً وتقهقر عمرانياً.⁴

وقد ذكرت الروايات التاريخية أن هذا الصراع دام مع حكم آل علاهم في ورقلة وبن بابية بأنقوسا وبني جلاب في تقرت حتى مجيء الاستعمار الفرنسي للصحراء الجزائرية.⁵

المطلب الثاني: العلاقات الخارجية

بالإضافة إلى تلك الاضطرابات، أشار العياشي إلى بعض ما عاصره من أحداث سياسية كان لها وقع في تاريخ الجزائر الحديث، كثورة الشيخ ابن المحلي أحمد بن عبد الله* التي وقعت أوائل القرن 17م سنة 1610م، وكان قد ادعى المهدية في تلك الربوع،

¹ -أبو سالم العياشي، رحلة العياشي (ماء الموائد)، المصدر السابق، ص63.

² -الأزهاري عبا، المرجع السابق، ص81.

³ -جميلة معاشي، المرجع السابق، ص72.

⁴ -الطاهر بن خدة، "دور الأتراك في إنبعاث ووحدة الدولة الجزائرية الحديثة"، المرجع السابق، ص88.

⁵ -الأزهاري عبا، المرجع السابق، ص81.

* ابن أبي المحلى أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي المحلى ولد بسجلماسة بالمغرب 967 هـ، رحل إلى فاس لطلب العلم مدة وحج إلى المشرق، وقد عرف بتأليفه الكثيرة وخوضه للعديد من الثورات لطمعه في السلطة إلى أن

الفصل الثاني:..الأوضاع السياسية السائدة على ضوء كتاب الرحلة

واستولى على جهات واسعة من أراضي البلاد الجزائرية الواقعة بالجنوب¹، وخاصة وادي الساورة كما أشار العياشي في أنها بداية أمره ودعوته، حيث أستطاع توحيد الناس ويدعمهم للجهاد في سبيل نشر دعوته التي دامت حوالي ثلاث سنوات².

وفيما يخص الأحداث السياسية المتعلقة بالعلاقات الجزائر المغربية والتركية، فرغم ما تعرضه الرحلة من حديث ودي في شأن الشريف السجلماسي وتحديد دقيق لمجالات نفوذ إماراته الناشئة، فإن العياشي يتجاهل ما شهدته المرحلة من احتكاكات عسكرية واتصالات بين أتراك الجزائر والمولى محمد بن الشريف³، واقتصر على ذكر بعض الحملات التي شنها الشريف لإخضاع بعض الإمارات في الصحراء الغربية، كالأغواط وعين ماضي⁴، وهذا ما أكد عليه في قوله: "جاءنا خبر من الغرب أن طائفة من عرب مولاي محمد أغارت على العرب الذين بأحواز الكراكة⁵، ولم تنتهي هذه الحملات التوسعية للشريف العلوي إلا بعد التفاوض بين الطرفين العلوي والعثماني، وتوقيع معاهدة صلح (معاهدة التافنة)، والتي كانت بتاريخ 1 جوان 1654 م⁶.

توفي، ينظر: عبد المجيد قدوري، ابن أبي المحلي علي الفقيه الثائر ورحلته الأصلية الأخرية، منشورات عكاظ، الرباط، ط01، 1991م، ص ص 46.

¹ - عبد المجيد قدوري، ابن أبي المحلي علي الفقيه الثائر ورحلته الأصلية الأخرية، المرجع نفسه، ص 62.

² - أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، المصدر السابق، ص 77.

³ - قدور بو زيان، "نظرة الرحالين المغاربة إلى الحكام العثمانيين، ضمن ملتقى أدب الرحلة والتواصل الحضاري"، جامعة المولى إسماعيل كلية الأدب والعلوم الإنسانية، مكناس، 1995م، ص 237.

⁴ - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى (الدولة العلوية)، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، د . ط، 1997م، ج7، ص 21.

⁵ - أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية إلى الديار النورانية، المصدر السابق، ص 53. وأيضا أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ج3، ص 20.

⁶ - الطاهر بوخدة، "دور الأتراك في انبعاث وحدة الدولة الجزائرية الحديثة"، المرجع السابق، ص 213.

الفصل الثاني:..الأوضاع السياسية السائدة على ضوء كتاب الرحلة

نستنتج مما سبق من حديث في هذا الفصل، أن الحكم العثماني في الأقاليم الصحراوية لم يكن محدد المعالم أو ثابتاً ، إلا أنه تميّز فيها بمظهرين أساسيين، تجسد أوله في الحملات التي شنّها الأتراك العثمانيين على الإمارات المتمردة أو المستقلة ، والأخرى أخذت طابعاً سلمياً تمثل في التبادل التجاري بين الطرفين وهذا بسبب عدم استيعاب النظام القائم على المشيخة التي كانت ترأسه الأسر المحلية الشريفة كإمارة مولاي علاهم بورقلة، وناقوسا وإمارة بني جلاب بتقريت.

كما كشفت الرحلة عن حالة الفوضى وعدم الاستقرار للعديد من مناطق بلاد الجنوب كالصراعات الحاصلة بين المشايخ من أجل التوسع على حساب الأخرى - كمشيخة أنقوسا التي كانت مدعومة من قبل حكام تقريت ببني جلاب ضد مشيخة ورقلة، مما أدى إلى توتر في العلاقات بينها والتي كان من نتائجها انتشار الفوضى والا أمن في المنطقة.

الفصل الثالث

الأوضاع الاجتماعية في نظر

الرحالة العياشي

المبحث الأول: طبيعة التركيبة البشرية وتوزيعها

المبحث الثاني: صفات وعوائد المجتمع الصحراوي

المبحث الثالث: الوضع الصحي السائد في منطقة الصحراء

الفصل الثالث:.....الأوضاع الاجتماعية في نظر الرحالة العياشي

حرص العياشي في رحلته على تتبع كل ما يلاحظه من ملامح اجتماعية التي كانت قد نالت النصيب الأكبر من اهتمامه بحكم معاشرته لسكان المنطقة، فأورد بذلك جملة من خصائص هذا المجتمع من خلال معاينته له التي بدون شك رسمت لنا صورة تكاد تكون ثابتة وواضحة المعالم لواقع المجتمع الصحراوي، منها طبيعة التوزيع السكاني وبعض الصفات المستحبة والغير المستحبة، وعادات وتقاليد هذا المجتمع، بالإضافة إلى الأوضاع الصحية السائدة في تلك الفترة.

المبحث الأول: التركيبة البشرية وتوزيعها

عرفت المنطقة الصحراوية الكثير من التجمعات البشرية المتميزة في أصولها وأجناسها، نتيجة الهجرات المتتالية إليها طوال فترات التاريخ، وقد أدى هذا التنوع إلى تباين في أنماط وأساليب حياتها، مشكلة بذلك مجموعتين أطلق عليه المغاربة عموماً ومنهم العياشي صفة البدو والحضر.¹

وقد ذكر لنا العياشي هذان الصنفان في رحلته وذلك عند مروره بقرية امليلي بمدينة بسكرة، ثم زيارته لزواية عبد الرحمان الأخضر فيقول عنه: " اشتهر عند الخاص والعام والبدو والحضر"²، ونصادف هذا أيضاً عند لقائه لنزلة من الأشراف بنفس المدينة، حيث قال عنهم: "وهم قوم صحّ نسبهم واشتهروا عند الحاضر والباد."³

¹ - الحسين بن محمد الورثاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط 01، 2006م، مج 1، ص 18.

² - أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، المصدر السابق، ج 2، ص 542.

³ - المصدر نفسه، ص 539.

الفصل الثالث:.....الأوضاع الاجتماعية في نظر الرحالة العياشي

المطلب الأول: سكان الحضر

من المعروف أن الحضر هم أصحاب المدن والقرى، ممن سكنوها قديماً،¹ وشكّلوا في مجموعهم فئات قاطنة في المدن والقصور،² والدور المبنية بالطوب والحجارة وكذلك ممن تميزوا بوضعهم الاجتماعي الخاص الذي جعلهم يشكلون طبقة اجتماعية ميسورة، وذلك يعود لامتهانهم التجارة داخل قصورهم، وممارسة النشاط الزراعي خارجها³، لذلك تحولت قراهم المحاطة بالأسوار وخزائن الماء إلى أسواق ومراكز للتموين ومحل للمبادلات التجارية.⁴

المطلب الثاني: سكان البدو

أما بالنسبة لسكان البدو عند العياشي، فيقصد بهم البدو الرحل والأعراب⁵ الذين يشكلون غالبية المجتمع الصحراوي، ضلوا يتنقلون ويرتحلون ويضربون مضاربهم عند أسوار القصور أو بقربها بجانب غابات النخيل،⁶ حاملين معهم كل ما يملكون من أقوات ومتاع وحيوانات ومن قطعان المواشي التي شكلت ثروتهم الأساسية، فهم لا يفلحون الأرض إلا بقدر ما تضطرهم الحاجة لكسب القوت والعيش.⁷

¹ - Haedo DE Diego , **Topographie et Histoie générale D'A lger** , Traduction Adrien Berbrugger , Editions Bouch »ne ,1998, p53.

² -أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، المصدر السابق، ج1، ص156.

³ -سعيدوني ناصر الدين والمهدي البوعبدلي، **الجزائر في التاريخ في العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، د. ط 1984م، ص97.

⁴ -مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص ص62-63.

⁵ - الأعراب: هم البدو الرُّحل من قبائل العرب غالباً، وَيُشَيِّعُ ذكرهم في معظم كتب الرحلات وغيرها من المصادر المشرقية والمغربية الحديثة باسم العريان أو العرب، بمعنى البدو الرُّحل الذين يقطعون الطريق على المسافرين ويعيشون في الأرض فساداً، ينظر: أحمد بوسعيد، **ركب الحج الجزائري من خلال كتب الرحلات الحجازية**، المرجع السابق، ص ص146-147.

⁶ -عبد الحميد زيزو، "الوضع في منطقة ورقلة قبل الاحتلال الفرنسي"، **مجلة اصالة**، ع41/1977م، ص101.

⁷ -سعيدوني ناصر الدين، **الشرق الجزائري قسنطينة أثناء العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي من خلال وثائق الأرشيف**، دار البصائر، ط: خ، الجزائر، 2009م، ص152.

الفصل الثالث:.....الأوضاع الاجتماعية في نظر الرحالة العياشي

وقد ذكر العياشي تلك القبائل التي صادفها على طريق الحج، ومنها قبائل الأعراب التي تقعات على تربية المواشي والصيد والنهب أوقات المجاعة، ومن تلك القبائل نذكر: قبائل أولاد نصر بن بوعكاز، قبائل أولاد صولة بسيدي عقبة، عرب أولاد محمد وابن سعيد بتوات، وأعراب الكراكدة كعرب العمور وعرب الأغواط الغربية.¹

وعادة ما كان يتخذ هؤلاء البدو مساكنهم من جذوع النخيل، فقد أشار العياشي إلى أنهم يسكنون في "الزرايب من جريد النخل"²، والظاهر أنهم كانوا يستخدمونها كمكان إقامة وكذلك للتخزين منتجاتهم ويعتبر هذا المسكن مؤقت ومناوب وملجأ وسط بين الخيمة والمنزل³، كما قد يرحل إليه سكان الحضر طلبا لانتعاش بعيدا على الحرارة الشديدة.⁴

ورغم اختلاف النمط المعيشي بين سكان المدن وسكان البدو، إلا أن هذا لم يمنع من تشكيل روابط مشتركة، كالعادات والتقاليد والدين...، ترجمت علاقتهم بالحياة وتجدد نظمهم الاجتماعية وهو ما سنأتي إليه.

¹-انظر هذه القبائل، أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، المصدر السابق، ص ص107-542-548

²-أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية إلى الديار النورانية، المصدر السابق، ج1، ص77.

³-بوترعة بلال، " أثر الضروف البيئية على الأنشطة الاقتصادية لسكان وادي سوف خلال القرن 19"، ضمن الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12-13هـ و18-19م من خلال المصادر المحلية 24- 25 جانفي 2012م، المركز الجامعي بالوادي، 2الوكالة الوطنية لتطوير البحث الجامعي، 2012م، ص122.

⁴-إبراهيم محمد العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعليق: الجيلاني بن إبراهيم العوامر، منشورات تالة، الجزائر، 2007م، ص99.

الفصل الثالث:.....الأوضاع الاجتماعية في نظر الرحالة العياشي

المبحث الثاني: صفات وعوائد المجتمع الصحراوي

لقد طبع المجتمع الصحراوي بطبائع، وصفات تميز بها عن باقي المجتمعات وهذه الطبائع تكاد تكون ثابتة على أغلب سكان المنطقة الصحراوية، وقد نقلت لنا الرحلة ما يتعلق ببعضها شملت أعرافهم وعوائدهم منها ما ساهم في ترابط وتماسك مجتمعهم، ومنها ما كانت توحى بمظاهر تفككه.

المطلب الأول: صفات وأخلاق المجتمع الصحراوي

لم يفت العياشي أن ينقل لنا بعضا من فضائل هؤلاء السكان في رحلته، ومن تلك الخصال:

1- الكرم:

إن الكرم من أهم المظاهر والصفات المتأصلة في المجتمع الجزائري في حضرها وبدوها، وخاصة إكرام الضيف النازل عندهم، وقد طبعت هذه السمة لدى الإنسان الصحراوي، وذلك نتيجة نضاله المتواصل مع بيئته الصعبة.¹ ففي توات التي دأبت على إكرام الضيف لا يحتاج المسافر فيها إلى حمل الزاد معه لأن لهم في ذلك عادة ونوبة.²

ويبدو هذا واضح عند زيارته إلى ورقلة، حيث قام أهلها باستضافتهم لأربع ليال، وأكرمهم أيما إكرام، فهذا أمام المسجد وأميرها (مولاي علاهم)، يستقبلانه ويحبسانه إلى طعام عندهم.³

¹ - إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص34.

² - أحمد بوسعيد، الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوزل الجنتوري في القرن 12هـ -18م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المغاربي والاجتماعي والثقافي، قسم التاريخ، جامعة أدرار، 2011-2012م، ص123.

³ - أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، ج1، ص ص119، 117، 115.

الفصل الثالث:.....الأوضاع الاجتماعية في نظر الرحالة العياشي

كما ذكر العياشي كرم أمير تماسين وحسن ضيافته، وأيضا أهل تقرت الذين كانوا يترددون عليهم باستمرار لتزويدهم بما يحتاجونه من مأكّل ومشرب، وقد وصفهم بالتواضع وحسن الخلق، فيقول: "وهم أهل يتسمون بالتواضع والنية الصالحة والأخلاق الحسنة"¹.

وقد حصل أن ضيّف العياشي مع بعض الحجاج في منزل عبد الكريم التواتي الذي أكرمهم بالقدر الذي استطاعه" كما قال العياشي.²

وفي طريق عودته عند نزوله بزاوية عبد الله بن طمطم -أوقرت- يقول عن كرم أحد أهلها: "...وقد أثنى أصحابنا عنه كثيرا، وهو من أهل الخير والكرم والدين، يطعم الواردين إليه، في بلاد كاد الطعام يكون دواء...".³

وقد اتفق العديد من الرحالة مع ما أورده العياشي حول كرم سكان الصحراء، فهذا محمد بن عبد الجليل في رحلته ري الغليل متحدّثا عن قرية أولاد سيدي جليل قائلا: "...فأما أولاد سيدي جليل فيطعمون التمر بالنهار وأما أهل البلاد فيطعمون الطعام بالليل".⁴

¹-أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص120.

²- المصدر نفسه، ص120.

³- نفسه، ص80.

⁴-رضوان شافو، الحياة الاجتماعية بوادي ريغ خلال القرن 19م، الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري، خلال القرنين (13-12هـ و18-19م) من خلال المصادر المحلية 24-25 جانفي 2012م، المركز الجامعي بالوادي، الوكالة الوطنية لتطوير البحث الجامعي، 2012م، ص184.

الفصل الثالث:.....الأوضاع الاجتماعية في نظر الرحالة العياشي

2- احترام الأجانب وحسن معاملتهم:

من نماذج الاحترام والقربى التي دأب عليها سكان قرى الجنوب، هي خروج أهلها لملاقاة الحاج، الواقعة على الطريق بين توزر والزاب لاستقبالهم،¹ وخاصة إن كان من أهل الفضل والعلم، ولعل هذا الأمر من العوامل الرئيسية لتوافد العلماء.

وعلى ذكر ذلك، فكتاب الرحلة لا يخلو من عبارات الثناء والعرفان على أهل تلك البلاد، وفي هذا الصدد يذكر العياشي عند نزوله لقرية "والا"، القريبة من القليعة، متحدثا عن أحد الصلحاء، فيقول: "والعرب يحترمون النازل بحرمة ويتأثر من يتعدى عليهم من بذلك"² وهذا الأمر يؤكد الحسن الوزان في رحلته، حيث يقول: "...فكثيرا منهم يتقاتلون فيما بينهم ويتطاحنون إلا أنهم لا يمسون الغرباء"³.

وعند نزول العياشي والحجاج بزرية حامد، أين استقبلهم سيدي عبد الله بن محمد مبارك ومعه جماعة من إخوانه وأبناء عمومته فقال: "كانوا يترقبون قدومنا منذ أيام... فلما رؤوا أعلام الركب تخفق، جاؤوا وباتوا معنا وأضافونا ضيافة حسنة"، ثم يقول عنهم: "إنهم أهل خير وبركة".⁴

والظاهر أن الرحالة المغاربة أيضا قد اشتركوا مع رأي العياشي في ذلك، فهذا الحضيكي يصف أهل الزاب، حيث خرجوا لاستقبالهم، فقال: "خرج أهل البلد جلهم للقاء

¹- أحمد بوسعيد، ركب الحج الجزائري من خلال كتب الرحلات الحجازية، المرجع السابق، ص 208.

²- أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج 1، ص 108.

³- الحسن الوزان، وصف إفريقيا، المصدر السابق، ص 134.

⁴- أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج 2، ص 537-538.

الفصل الثالث:.....الأوضاع الاجتماعية في نظر الرحالة العياشي

الركب بالرحب والتحبّب...ونزلوا يلعبون بالخيّل والبغال في زينتهم لإظهار السرور للترفيه عن الحجاج"¹ وفي نفس السياق ذكر الدرعي عند عودته من الحج عن كرم أهل الأغواط فقال: "خرجوا إليهم كبارا وصغارا وأظهروا المرح والسرور".²

وفي جهة أخرى يذكر الوزان كرم أهل وادي ريغ وكيف يستقبلون الغرباء في بيوتهم بالمجان حيث يقول: "ومن عادتهم أنهم يقدمون الهدايا للغرباء...وهذا من حسن طوبيتهم وسلامة قلوبهم"³.

بالإضافة إلى ما نقله العياشي من خصال حميدة عن هذا المجتمع، فإنه لم ينفى من جهة أخرى ما كان يتصف بها بعض من أهلها كاللصوصية.

3- اللصوصية:

لقد شغلت الرحالة المغاربة عموماً⁴ حالة اللا أمن واللصوصية التي كانوا يتعرضون لها طوال الطريق في الغالب، ومنهم العياشي الذي أطنب في الحديث عنها في رحلته في حالة حدوث هذه الظاهرة أو انعدامها.

وفي هذا الصدد يسرد العياشي إغارة إحدى قبائل الأعراب في الطريق بين الزاب

¹ - محمد عبد الله الحضيكي...، الرحلة الحجازية، ضبط وتعليق، عبد العالي المدير، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرباط- المغرب، ط2011، ص76.

² - بن قايد عمر، "منطقة الأغواط وما جاورها من خلال رحلة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي السجلماسي قراءة اجتماعية ثقافية"، مجلة المغاربة للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج9، ع 01 / جوان 2018م، ص215.

³ - الحسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ص230.

⁴ - الحسين الورثاني، نزهة الأنظار...، المصدر السابق، ص174.

الفصل الثالث:.....الأوضاع الاجتماعية في نظر الرحالة العياشي

وسيدي عقبة حيث يقول: ".وجدنا في المنتصف نزلتين لأولاد صولة قد نزلوه ذلك اليوم، وكانوا قد أغاروا على نزلة لبعض الأشراف وأخذوهم".¹

وهذا ما ذهب إليه الرحالة المصعبي في أن من أشهر القبائل المعتدية على ركب الحجيج، قبيلتنا أولاد بوعكاز وأولاد صولة الضاغنتان بين الصحراء والسهوب الشرقية، التي كانت تعتدي على الحجاج بغرض سلبهم أموالهم وأملاكهم ورواحلهم.²

وفي واقعة أخرى يخبر العياشي عن خوف الحجاج الدائم من غاراتهم المفاجئة والخطر الذي يداهمهم على طول الطريق، كحديثه هذا: "حصلت للركب روعة بخبر أخبروه أن قوم من العرب يريدون الإغارة، فشمروا الناس للقتال وأخرجوا عدتهم للحرب وهيئوا له آلة حربهم، فلم يلقوا كيدا، وتبينوا بعد ذلك أن الخبر لا أصل له"،³ ونفس الأمر حدث في بسكرة التي أشار الدرعي إلى "أنها أكثر البلاد سرقة"⁴، وقد عاش الركب هناك، حالة من الخوف وعدم الأمن من أعراب أولاد بوعكاز، حتى أن أهل البلد لم يستطيعوا محاربتهم و"هم الذين لا يقربهم قرار"، فاكثفوا بتحذيرهم من غاراتهم على إيل الركب".⁵ وتجدر الإشارة إلى أن أولئك الأعراب ليس جميعهم بلصوص، فقد ذكر العياشي أن بعضهم: "أهل عافية لا إذاية فيهم".⁶

¹ - إبراهيم بحمان بن أبي محمد السجني المصعبي، رحلة المصعبي، ط01، تح: يحيى بن بهون حاج أمحمد، العالمية للخدمات والنشر، غرداية، 2006م، ج1، ص68.

² - رشيد حفيان، الطرق والقوافل التجارية في الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين (12-11هـ/17-18م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2013-2014م، ص43.

³ - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص112.

⁴ - محمد عبد السلام الناصري، الرحلة الناصرية الكبرى، دراسة وتحقيق المهدي الغالي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ط01، 2013م، مج1، ص220.

⁵ - أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية إلى الديار النورانية، المصدر السابق، ج1، ص64.

⁶ - أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، ج1، ص112.

الفصل الثالث:.....الأوضاع الاجتماعية في نظر الرحالة العياشي

المطلب الثاني: عادات وتقاليد سكان الجنوب

1- الأعياد:

من بين العادات التي نقلها الرحالة، عادة سكان الجنوب في الاحتفال بليلة العيد ووصف أجواءه، ومنهم أهل بوسمغون، فمن عوائدهم ذلك اليوم أنهم يخرجون صبيحة العيد، قبل طلوع الفجر للقيام بصلاة الجمعة، وبعد انتهاء من ذلك يخرجون كبارا وصغارا إلى المصلى، حاملين في أيديهم أسلحة ويقول: "لا يخرج أحد بغير سلاح صغيرا أو كبيرا"، ثم يبدأ كل واحد منهم يتقاذفون بالأحجار متخذين منها غرض للرمي بالبنادق، وما نال استغرابه هو أن غالبهم انشغل بذلك حتى في أوقات الصلاة والخطبة.¹

ومن الملاحظات التي أسردها لنا الرحالة والتي نالت استغرابه في بسكرة وكذا الورثلاني الذي نقل عنه، عادة أهل بسكرة لدى عودتهم من الحج، في الكتابة على أسوار مسجد عقبة بن نافع الفهري المشهور بالمنطقة حيث أنه من عادة أهلها ممن يدخل ويمر المسجد فإنه يكتب اسمه على حيطان المسجد وأسطينه"، وكان من وراء ذلك الفعل التبرك بزيارته بحيث أنهم "اتخذوا من ذلك دينا وعادة مستمرة".²

ومن عاداتهم أيضا في نفس المسجد الذي يحوي في أعلاه عمود، ف" يزعم الحجاج أن من تمسك بذلك العمود وحركه، ثم قال أقسمت عليك أيتها المئذنة بحق سيدي عقبة إلا ما تحركت، فتهتز،"³ وهذا الأمر استغربه العياشي فأراد أن يتحقق من أمر ذلك ، ليكشف أن سبب تحرك المئذنة لا يمد بصلة إلى الولي الصالح وإنما يرجع لسبب هندسي

¹ -أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية في الديار النورانية، المصدر السابق، ج2، ص523.

² -الحسين الورثلاني، المصدر السابق، ص135 وأيضاً: أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، المصدر السابق، ج2، ص539 .

³ -أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص539.

الفصل الثالث:.....الأوضاع الاجتماعية في نظر الرحالة العياشي

في عمارة المسجد فقال: "...وقد طلعت إليها ورأيت ذلك، وليس كما زعموا، وإنما من إتقان البناء وفرط طوله، فإذا صودم بقوة ظهر فيه شبه اهتزاز وذلك يقع في كل بناء".¹

2-الجناز:

من المسلّمات التي فرضها الله تعالى على خلقه الموت، ولما للميت من حق في إكرامه بعد موته، وجب على أهله إقامة جنازة ومراسيم للدفن، وهذه الأخيرة اختلفت من مجتمع لآخر.

ومن الأخبار التي عنونها أبو سالم بـ"العجيبة"، والتي أثارت استغرابه في مدينة ورقلة، مشهد الثياب الملقاة أمام باب المدينة حيث يقول: "وفي باب المدينة التي نزلنا من قبله خرق كثيرة من الصوف والكتان أكثرها صحيحة لا قطع فيها تصلح للانتفاع وليس مثلها مما يرمى به في العادة، ويستغرب العياشي كثيرا من الذين قاموا برميها كونها لا تزال صالحة للاستعمال وكثيرة العدد، إلى أن سمع خبرا يفيد بأن تلك الثياب أنها ترجع للموتى، وأن هذه عادة متوارثة عند أهل البلد بحيث: "أن من مات ألقيت ثيابه التي عليه عند الموت هناك ولا تمس".²

وفي موضع آخر يصف لنا العياشي بعض السلوكيات الغريبة التي أثارت انتباهه عند أهل ورقلة حين نزوله بها، حيث وجد بمسجدها أناس يقيمون الصلاة بغير وضوء، مع أنهم بدون أعذار حيث قال: "دخل الناس للصلاة وابتدروا زوايا المسجد يتيممون...فقلت عجا هؤلاء كلهم من ذوي الأعذار".³

¹ - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص539.

² -مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص70.

³ -أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج1، ص118.

الفصل الثالث:.....الأوضاع الاجتماعية في نظر الرحالة العياشي

المبحث الثالث: الوضع الصحي السائد في منطقة الصحراء

لقد زودتنا رحلة العياشي بمعلومات وإن كانت قليلة عن الوضع الصحي في الجزائر خلال القرن 11هـ 17م، حيث أشار إلى بعض الأمراض والأوبئة التي كانت تنتشر بين الناس وكيف تعامل معها السكان، وكذا الجوائح التي شهدتها زمن الرحالة ومدى انعكاسها على الأوضاع الاجتماعية في المنطقة.

المطلب الأول: الأوبئة المنتشرة

عرفت المنطقة خلال القرن 17م، العديد من الأمراض والأوبئة التي كان لها التأثير على المجتمع الجزائري مسّت جميع جوانبه الاقتصادية والاجتماعية... وغيرها، كما انعكست على النمو الديمغرافي بشكل ملموس.

ومن الأوبئة التي عرفتھا البيئة الصحراوية آنذاك، الطاعون، الذي يعتبر من أخطر الأمراض، عانت منه مختلف الفئات الاجتماعية في الكثير من المرات وفي مختلف الفترات التاريخية، وهذا ما أكده الحسن الوزان، فهو يظهر كل (10) عشر سنوات أو (15) خمس عشرة سنة، أو (25) خمس وعشرين سنة، ويقول عندما يأتي يذهب العديد من الناس.¹

ويرجع أول تاريخ ظهور له بالجزائر عموما إلى عام 1514م واستمر في الظهور على فترات معينة إلى غاية عام 1822م²، ولم يكن هذا الوباء وليد البيئة الجزائرية بل غريب عنها، فقد اجتاحتها من خلال الحركة السكانية عن طريق البر أو سفن البحر من طرف الحجاج أو التجّار، وكثيرا ما كان مصدره من جهة المشرق، إذ تعدّ بلاد الرافدين وشبه الجزيرة العربية ومصر، وليبيا موطنًا لهذا المرض.³

¹-الحسن الوزان، وصف إفريقيا، المصدر السابق، ج1، ص85.

²-ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي في أواخر العهد العثماني، المرجع السابق، ص125.

³-الظاهر أن الوباء كان السبب وراء انتشاره السفن التي كانت ترسو في الموانئ المدن وهي التي كانت تحمل الوباء، وبالتالي انتقل من سكان المدن إلى المناطق الداخلية، ينظر: مؤيد محمود محمد المشهداني وسلوان رشيد، أوضاع=

الفصل الثالث:.....الأوضاع الاجتماعية في نظر الرحالة العياشي

أما في السنة التي زار فيها العياشي المنطقة، فكان الوباء قادما من تونس وامتد وصوله إلى الجزائر عامة وبصفة خاصة إلى بايلك الشرق، وفي 1667م، عاد الطاعون من الطريق نفسه لتصبح الجزائر عامة بؤرة انتشار هذا الوباء في كامل أنحاءها، وخاصة في الجنوب، كبسكرة ووادي ريغ¹.

فعندما توقف العياشي بمدينة بسكرة أثناء عودته من الحج، وهو في طريقه إلى المغرب الأقصى، نجده يخبر عن الوباء الحاصل سنة (1060هـ-1660م)، وذلك في حديثه عن شيخ معلمه أبو مهدي الثعالبي، الذي توفي بالوباء الحاصل في تلك الناحية،² وعند نزوله لسيدي عقبة تحقق الوباء في البلاد التي في أطرافه وفي بسكرة فلم يدخل الرحالة لزيارته.³

وفي موضع آخر، أشار العياشي إلى تعرض المنطقة إلى نفس الوباء قبل سنتين، مشيرا إلى وفاة إحدى الشخصيات العلمية البارزة في المنطقة، فيقول: "...وقد لقيت بها سنة تسع وخمسين، رجلاً من الصالحين... واسمه سيدي بوطيب نصير...ولما رجعت من الحجاز سنة تسع وستين وجدته قد توفي بالوباء الواقع في تلك السنة" ثم يردف قائلاً عن نقشي ذلك المرض في هذه المنطقة بشكل لافت للنظر: "...وكان الوباء مفرطاً، مات به في بسكرة على ما قيل نحو سبعين ألف نفس، وقد دخلنا مدينة عقبة ووجدنا أكثر حوماتها خالياً، ومساجدها دائرة".⁴

=الجزائر خلال الحكم العثماني (1830-1518م)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، ع 16/ نيسان 2013م، ص 434.

¹- مصطفى خياطي، الأوبئة والمجاعات في الجزائر، ترجمة حضرية، يوسف وهبة حابت، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال، الرويبة، د. ط، ANEP، ص 39.

²- أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية إلى الديار النورانية، المصدر السابق، ج 2، ص 521.

³- أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، المصدر السابق، ج 2، ص 593.

⁴- مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة...، المرجع السابق، ص 102. وأيضاً: ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص 282.

الفصل الثالث:.....الأوضاع الاجتماعية في نظر الرحالة العياشي

ونفس الملاحظة نقلها الورثلاني عن خبر الوباء ومخلفاته وكيف جعلها خراباً، فقال: "...ثم نزل عليهم الوباء ولم يبق فيها إلا الحثالة من الناس".¹

ثم راح الطاعون ينتقل من قسطنطينة سنة 1663م وبسكرة وسيدي عقبة، كما أخبر العياشي لدى عودته من مكة المكرمة، فعند نزوله زريبة حامد، أين ساد الخلاف بين أهلها حول الاحتراز من العدوى والابتعاد عن الشخص المريض بوباء الطاعون أو يتركه للأقدار، فيقول: "...وجدناهم متحصّرين أمرهم لطروق الوباء في نواحيهم، وتخوفوا أن يدهمهم في بلدهم، وعزموا على الفرار...وسألوا هل يصوغ لهم ذلك قبل وصوله إليهم أو لا...ورخصت لهم في الخروج".²

وقد ذكر العياشي الخطوات الوقائية للاحتراز من الوباء في مدينة الأغواط، وذلك بتشديد الحراسة على المدينة ومراقبة الوافدين عليها، مما يقيها من الأمراض المختلفة، إذ لا يسمح بدخول أي غريب يشكك في إصابته بالوباء، وهذا ما حدث لهم عند نزولهم بالمدينة، فقد حصل أن طلبت قافلة من الأعراب تخبر أهلها بمنع الركب من دخول المدينة بسبب وجود الوباء بينهم، حيث يقول رحالتنا في ذلك: "...فلم يتركوا أحدا يدخل إليهم ولم يخرج أحد منهم للركب...وكانوا يدلون الزرع من فوق السور، ويأخذون الريال ويغسلونه ولا يتناولونه إلا بعد الغسل حتى لا يلمسوا شيء من أيدينا...".³

¹ -الورثلاني، المصدر السابق، ص118.

² -أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص522.

³ - المصدر نفسه، ص522.

الفصل الثالث:.....الأوضاع الاجتماعية في نظر الرحالة العياشي

المطلب الثاني: الكوارث الطبيعية

إلى جانب الأوبئة، ساهمت العديد من الجوائح في العهد العثماني كالجفاف والمجاعات الكبيرة والجراد¹، في تدهور المستوى المعيشي للمجتمع الجزائري.

ونظرا لخصائص الموقع الصحراوي الذي يتميز بقلّة الأمطار الموسمية²، فإن الجفاف كان أحد الأسباب الأساسية التي ساهمت في قلة الإنتاج الزراعي ولأن قلّة الماء تسبب في تقليص كميات التغذية، فهذه الأخيرة تنعكس أيضا على صحة الأشخاص سلباً ومنها المجاعة، مما يؤدي إلى انهيارات بشرية وديمغرافية مأساوية.³

وقد تزامنت رحلة العياشي مع موسم القحط تلك السنة، الأمر الذي أدى إلى حدوث مجاعة كبيرة شكلت مع الوباء كارثة حقيقية جعلت من البلاد شبه مقفرة،⁴ لدرجة أن البلد "كاد الطعام أن يكون فيه دواء"⁵.

هذا وقد كان الجفاف والقحط أكثر تأثيرا وخطبا على سكان البدو، "إذ كان أثر الجوع عليهم بادا"، كما أنّه شمل معظم المناطق الصحراوية ولا نكاد نجد موقعا يخلو من آثار هذا الوضع المزري فكثيرا من القرى آثرت الرحيل عن موطنها الذي لم يعد به سبيل للحياة، حيث يذكر العياشي عند مروره على إحدى القرى بتوات، التي وجدها خاوية على عروشها، ليس بها إلاّ رجلا كانا في غاية ما يكون من الضعف الناتج عن الجوع،⁶

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع لسابق، ص267.

² - جعفري مبارك، الحياة العلمية في إقليم توات وانعكاساتها جنوب الصحراء خلال القرن 12هـ/18م، المرجع السابق، ص20.

³ - محمد بن جبور، "الوضع الصحي لسكان الجزائر في العهد العثماني"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، قسم التاريخ - جامع معسكر، ع7/2009م، ص64.

⁴ - أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية إلى الديار النورانية، المصدر السابق، ج2، ص، ص 522 ، 530.

⁵ - أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، المصدر السابق، ص80.

⁶ - أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية إلى الديار النورانية، المصدر السابق، ج1، ص127.

الفصل الثالث:.....الأوضاع الاجتماعية في نظر الرحالة العياشي

كذلك وصف إحدى القبائل من أهل سيدي مخلوف التي كانت تستلطف العيش " وقد بلغ الجهد منهم كل مبلغ"، ومن لطف الله بهم أن جهدت فرس الرحالة التي أصابها العلل ولم تقدر على مواصلة المسير فوهبها الرحالة لهم، ليقوم أولئك بذبحها للانتفاع بها.¹

وكانت الصورة أبلغ حين نقل العياشي وضع الأهالي في تلك الفترة، حيث ضربت الأقاليم الصحراوية آنذاك مجاعة كبيرة بسبب الجراد،² وقد وصل الأمر إلى قيام " الناس الذين لم يجدوا ما يبيعونه سوى الملح يبادلونه بالطعام"³ الذي لا يصل حتى لشراء المادة الأساسية كالحبوب، وذلك لقلة الإنتاج الزراعي بسبب الجفاف.

مما سبق نلاحظ أن العياشي قد أقرّ بوجود نظام خاص من الحياة الريفية في الصحراء منقسم إلى نمطين، سكان الحضر أو القرويين في الواحات من سكان القصور وفلاحي النخيل، وآخر سكان البدو الرحل أو الأعراب، حيث نجد العلاقات بين هذه المجموعات متميزة فكل مجتمع له خصائصه الاجتماعية والثقافية رغم ذلك فإنهم قد اشتركوا في العديد من الخصال والقيم التي كادت تكون واحدة على مستوى الجنوب الجزائري، وكذا عاداتهم التي شجعت على حدوث تفاعل اجتماعي بينهم وحتى مع غيرهم من الحجاج والغرباء، وهذا الأمر جعله ينال إعجاب العياشي وكذا غيره من الرحالة الكثير.

إلى جانب ذلك كانت حالة المجتمع التي آل إليها نتيجة سوء الأحوال الصحية والمعاشية متدهورة وكان سببها الأول وباء الطاعون والجوائح كالقحط والجفاف، التي أثّرت بشكل سلبي على الوضع الصحي للمجتمع الجزائري.

¹ - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج2، ص547.

² - العنثري، مجاعات قسنطينة، ترجمة: رايح بونار، (ش. و. ن. ت)، د. ط، د: ت، ص ص45-46.

³ - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص546.

الفصل الرابع:

الحياة الثقافية والفكرية في نظر الرحالة

المبحث الأول: وضع المؤسسات الثقافية

المبحث الثاني: التواصل الثقافي بين الرحالة وعلماء
المنطقة

المبحث الثالث: أهم العلوم والمؤلفات المنتشرة

المبحث الرابع: الحضور الصوفي وتأثيره على المجتمع

الفصل الرابع:.....الحياة الثقافية والفكرية في نظر الرحالة

بعد تطرقنا للأوضاع الاجتماعية السائدة خلال القرن 11 هـ 17هـ، من خلال ما رصدته لنا رحلة العياشي من تمايز في البيئة الاجتماعية وكذا أوضاع صحية مأساوية التي من المؤكد قد انعكست سلباً على الواقع الثقافي والفكري بالمنطقة، كما سنتطرق إليه لاحقاً، هذا من جهة ، فإنه ومن جهة أخرى قد صور لنا بعض المظاهر الأخرى في هذا الجانب، تعلق ذلك بالمؤسسات الثقافية المختلفة من زوايا ومساجد، بالإضافة إلى بعض الأعلام والشخصيات التي كانت لها مبادرة في تنشيط الحياة الثقافية وكذا من خلال إشارته إلى أهم الكتب والمؤلفات المنتشرة التي من خلالها يمكن معرفة أهم العلوم السائدة في تلك الفترة.

المبحث الأول: وضع المؤسسات الثقافية

لقد اهتم العياشي بالمراكز والمؤسسات المتمثلة في الزوايا والمساجد والمدارس، ووصفها معلماً ووظيفة ويمكننا إبراز ملاحظاته هذه من خلال التطرق لها من حيث الفن المعماري وكذا دورها الوظيفي التي نسيقها كالتالي:

المطلب الأول: من حيث الفن المعماري

ظهر تميّز الجزائريين عموماً في مجال العمارة في مساكنهم وخاصة المساجد التي كانت أولى اهتماماتهم¹، وقد ذكر العياشي العديد من المساجد والجوامع التي نالت إعجابه من حيث تصاميمها المعمارية والتي تميزت في معظمها بعمارتها ومناراتها العالية.²

فعند زيارته لمدينة ورقلة، التي عرفت بكثرة مساجدها وتعددتها وتوزعها بين المصليات والجوامع كالمسجد الموصوف بالجامع الكبير³ أو جامع المالكية (أنظر الملحق

¹- Thomas Shaw, Voyage dans La Régence D'Alger ou désertion géographique'etc, de cet état ,Traduit, Jacques Mac W ,Éditeur Marlin paris,paris,1751,p79.

²-ابن الدين الأغواطي، رحلة الأغواطي...، المصدر السابق، ص100.

³-عمار غرايسة، " الأدوار الحضارية للمدن والزوايا (ورجلان نموذجاً)"، حوليات التاريخ والجغرافيا، ضمن الملتقى الوطني الثالث حول المدن الجزائرية، ع 5 / 2011 م، ص487.

الفصل الرابع:.....الحياة الثقافية والفكرية في نظر الرحالة

رقم 4 و 5)، الذي دخله العياشي لأداء صلاة الجمعة وطلع على مؤذنته فيقول: " ثم بعد الصلاة طلعنا للمؤذنة، وهي مشرفة على المدينة كلها "¹، إنَّ قوله هذا يدلُّ على ارتفاع المآذن على مستوى المساجد في تلك الفترة، ومثله جامع الإباضية الذي أعجب به العياشي كثيرا حيث قال: " دخلت المسجد لأداء صلاة المغرب، وهو مسجد متقن الصنعة مجصص الأرض والحيطان، على بابهِ أماكن وفي جوانبه معدة للوضوء وقضاء الحاجة ومكان لتسخين الماء، فأعجبني غاية "² وفي تماسين -بنقرت- وصف العياشي أحد مساجدها أيضا فقال: " فيه صومعة وثيقة البناء طويلة جدا فيها نحو مائة درجة، على بابها اسم صانعها وهو المعلم احمد بن محمد الفاسي "³، ويرجع تاريخ بناءها إلى سنة سبع عشرة وثمانمائة (817هـ/1414 م)⁴، ويسمى بمسجد عبد الله المغراوي. (أنظر الملحق رقم 6)

أما مسجد أبا الفضل، فقد وصفه العياشي قائلا: "...دخلنا للمسجد وطلعنا مؤذنته وهي في غاية الإتقان والطول والسعة، تقدر الدابة على الصعود عليها بحملها وأدراجها مائة وأربع وعشرين درجة، والمسجد في غاية السعة وإتقان البناء..."⁵ ويتبع الورتلاني وصف رحالتنا أيضا فيقول: " ...مع دخولنا المسجد الجامع الأكبر الواسع ذي البنيان الشامخ فلم يوجد فيما علمت أحسن منه ولا أوسع ولا أعظم في المساجد المعلومة "⁶.

¹- أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص 115.

²- المصدر نفسه، ص 116.

³- نفسه، ص 115.

⁴- هذه المؤذنة تتوسط القصر التماسيني و يبلغ طولها حوالي 4 أمتار، وعمق قاعدتها 10 أمتار، ينظر: الطيب بوسعد، "الصحراء الجنوبية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني وادي ريغ أنموذجا"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المركز الجامعي، غرداية -الجزائر، ع 2011/15، ص 445.

⁵- أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج 2، ص 540-539.

⁶- الحسين الورتلاني، المصدر السابق، ص 117.

الفصل الرابع:.....الحياة الثقافية والفكرية في نظر الرحالة

أما مسجد سيدي عقبة فوصفه العياشي وأيضاً الورثلاني بالعجيب وهذا ما يؤكد قوله: ".. مسجد عجيب حوله قرية كبيرة في وسط هذا البسيط، وفي مسجده مئذنة كبيرة متقنة البناء، وفي أعلاها عمود"¹.

كما وصف الحسن الوزان إحدى مساجد تقرت في الجنوب الصحراوي فيقول عنها: " دورها مبنية بالآجر المشوي والنيئ حاشا الجامع فإنه وحده مبني بالحجر المنحوت الجميل "².

وقد تفاوت الاهتمام بالمساجد من منطقة لأخرى، حيث اختلفت مساحتها وجمالها بين الجوامع العتيقة والمساجد المستحدثة، حيث أوليت المساجد الجامعة عناية خاصة من حيث روعة البناء والزخرفة، في حين كانت المساجد الصغيرة بسيطة ببساطة أهل الصحراء³، وهو ما يؤكد الورثلاني فيقول: " لا نكاد نرى في مدائنهم مسجدا عظيما قد أحدث أو جدد "⁴.

أما الزوايا فلم نصادف وصفه لها في رحلته، غير أننا نلاحظ أن الزوايا كما هو معروف، هي بناء أو طائفة من الأبنية ذات طابع معماري ديني وهي شبيهة بالمدرسة، عادة ما تشدّ بها عرصات قوية وتفرش أراضيها بالحصائر والزرابي⁵، كما أنها فضاء واسع تحيط به العديد من المرافق كمسكن الشيخ أو مسجد، مثل زاوية عبد الرحمان الأخضرى وقد زار العياشي خلوته وصلى بمسجده، كما قد تظّم أيضا غرفة للضيافة أو

¹ -أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص539، وأيضاً: الورثلاني، المصدر السابق، مج1، ص104.

² -أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص182.

³ -يمينة بن صغير، حاضري، قصري توقرت وتماسين، المرجع السابق، ص132.

⁴ -عائشة دباح، "الرحلة العلمية وتأثيرها على الوضع الثقافي في الجزائر في عهد الدايات (رحلة الورثلاني أنموذجاً)"، قضايا تاريخية، ع8 / 2017م، ص56.

⁵ -أحمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007م، ص ص 151-152.

الفصل الرابع:.....الحياة الثقافية والفكرية في نظر الرحالة

ضريح للأحد الأولياء أو الصالحين¹، مثل زاوية سيدي احمد بن موسى التي بجانبها ضريحه² وتقع بالقرب من مدينة بني يخلف، التي تأسست على يد أبي زيد بني الفلجة عبد الرحمان بن أحمد بن موسى، الذي ذكره العياشي، وإن كان لم يفرج عن اسمه في نص رحلته³.

ونلاحظ في زيارة العياشي لزاوية أولاد سيدي ناجي، أنه وجد على جدارها اسم مؤسسها سيدي مبارك، بداية القرن (17-15م)، وقد سميت نسبة إلى جده الأول سيدي ناجي، نستشف من هذا أن المساجد لم تكن تنسب للصحاء والأتقياء، وهو ما يؤكد أبو القاسم سعد الله في أن الزوايا كانت تنسب عادة إلى مؤسسها الأول⁴.

المطلب الثاني: من حيث النشاط التعليمي والاجتماعي

من الواضح أن المساجد والجوامع التي زارها العياشي، كانت تتوزع في نشاطها حسب المجموعات الاجتماعية والمذهبية، فعند نزوله إلى ورقلة، ذكر انه دخل لمسجد لأداء صلاة المغرب وهو خاص بالإباضية، " إذ المسجد مسجدهم يصلون فيه ومعروف بهم"، كما أشار العياشي أثناء دخوله لصلاة الجمعة خاص بالمذهب المالكي واسمه "جامع المالكية"⁵ والمعروف باسم سيدي عبد القادر الجيلاني وتجتمع فيه جماعة البلد وأهل الرأي⁶.

¹ - محمد بوركة، الدور الديني والتربوي للزوايا في الجزائر، ضمن فعاليات الملتقى الوطني العاشر حول الزوايا ودورها في المحافظة على الشخصية الوطنية، إصدار الجمعية الخلدونية، 2015 م، ص 50.

² - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج1 و2، ص، ص 79، 542.

³ - أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، المصدر السابق، ص 78، وأيضا: حمادي الإدريسي، وادي الساور تاريخ وادي الساور تاريخ وبطولات، المرجع السابق، ص 5 من المقدمة.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص 245.

⁵ - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص 114.

⁶ - ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 524.

الفصل الرابع:.....الحياة الثقافية والفكرية في نظر الرحالة

بالإضافة إلى ذلك فإننا نلاحظ أن العياشي لم ينظر إلى المساجد على أنها مؤسسات تعليمية فحسب بل نجد في كثير من الأحيان يطلق عليه اسم المسجد أو المصلى أو الجامع، وهذا ما ذهب إليه أبو القاسم سعد الله، فالجامع في مفهومه أكبر حجما من المسجد الذي تؤتى فيه صلاة الأوقات، أما الأول فتقام فيه صلاة الجمعة والجماعة¹، وغالبا ما كانت تحضر فيه جميع الناس من كل الأحياء، وكان فيما عدا أوقات الصلاة، المهد الأول لحلقات الدروس اليومية كتحفيز القرآن وتعليمه، ومركز للفنون العلم الأخرى التي تدرس به في ذلك العهد²، كما أنه مكان للذكر وإقامة المجالسات العلمية والدينية أيضا، وهو ما نستشفه من رحلته عند زيارته لبسكرة في حديثه عن الفقيه سيدي محمد بن صالح، الذي كان عادة ما يجتمع إليه الناس والفقهاء من أصحابه إلى المسجد، أين كان يذكرهم ويعلمهم³.

أما بالنسبة للزوايا، فهي الأخرى احتلت صدارة المراكز الثقافية، وذلك لدورها الكبير في خدمة الفرد والمجتمع⁴، فهي إلى جانب وظيفتها الدينية كالعبادة⁵، كانت مقرا للدراسة ومركز إشعاع لنشر التعليم أيضا، كتدريس علوم الدين والفقه ومبادئ القراءة والكتابة، بالإضافة إلى أنها كانت منارات يقصدها الرواد من كل أنحاء القطر الجزائري، قاصدين منها تعلم علوم اللغة والسنة والفقه وبعض المتون والقصائد الدينية وعلوم

¹ -أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق، ج2، ص245.

² -ابن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح:محمد بن عبد الكريم (ش.و.ن.ت)، الجزائر، 1981م، ص59.

³ -أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص540

⁴ -محمد بوركية، "بسكرة عبر التاريخ"، ضمن فعاليات الملتقى الوطني حول الزوايا ودورها في المحافظة، المرجع السابق، ص245.

⁵ -زهرة مسعودي، "الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18 ما إلى القرن 20م"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة أدرار، 2009-2010م، ص17.

الفصل الرابع:.....الحياة الثقافية والفكرية في نظر الرحالة

الفلك...وغيرها من العلوم.¹

بالإضافة إلى هذا الدور كانت الزاوية تقوم بدور اجتماعي يعبر عن التكافل الاجتماعي لسكان المنطقة، وكانت بعض الزوايا كزوايا أوقرت، يقدم أصحابها على استقبال عابري السبيل والحجاج، فإن المسافر لا يحتاج إلى حمل الزاد معه، لأن في كل قصر من قصورها عادات، فمن يقصد دار الزاوية، يجد فيها كل ما يحتاج إليه، ولا يختلف هذا النظام ولو أقام الضيف مدة طويلة.²

ومن الأمثلة عن زوايا الإطعام فيها، التي ذكرها العياشي في رحلته، زاوية سيدي عمر بن الصالح، التي برزت كمركز ثقافي وعلمي كبير، حيث كانت تستقبل الضيوف والطلبة، فوفدوا إليها من كل الجهات³، كما أشار العياشي إلى زاوية سيدي عبد الله بن طمطم، الواقعة بتوات التي زارها أمير الרכب وأصحابه افقد أشاد بدورها مشيرا إلى صاحبها بقوله: "...وقد أثنى أصحابنا عنه كثيرا، أو أنه من أهل الخير والدين، يطعم الواردين إليه، في بلاد كاد الطعام يكون فيه دواء...".⁴

أما المدارس فقد أشار العياشي في رحلته إلى أولاد جلال إحدى قرى الزاب، بأولاد جلاب، فيقول عنها: " وهي قرية جامعة فيها مدرسة لطلبة المهاجرين"⁵، ومن هذا نعرف مدى تمسك أهل البلد بالعلم.

¹ - رقاد السعدية، المؤسسات العلمية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني (1700-1830)، أطروحة

مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الطور الثالث، قسم التريخ وعلم الآثار جامعة وهران 1018-2019م، ص81.

² - أحمد بوسعيد، الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوزل الجنتوري، المرجع السابق، ص123.

³ - جعفري مبارك، الحياة العلمية في إقليم توات وانعكاساتها جنوب الصحراء، المرجع السابق، ص 104-106.

⁴ - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص 80.

⁵ - المصدر نفسه، ج2، ص545.

الفصل الرابع:.....الحياة الثقافية والفكرية في نظر الرحالة

المطلب الثالث: الوضع الثقافي للمؤسسات التعليمية

لقد صور لنا العياشي، الحياة العلمية والثقافية وحتى الدينية التي كانت عليها بعض المؤسسات التعليمية والدينية التي كان تلعب دور إيجابيا في تنشيط الحركة الثقافية، غير أن ما نستشفه من خلال نظريته هو للواقع الثقافي، يظهر أنه كان منحطاً ومتردياً في أغلب المناطق التي مرَّ عليها، ففي منطقة تسابت في توات أثناء زيارته لها يصف الوضع فيها بقوله: "...ولم نلقى أحد ممن ينتسب إلى ولاية أو صلاح، ولا من أهل العلم والفلاح، وغالب أهلها عوام أهل تجارة...وسرد الخطيب خطبة عظيمة وعِضية حسنة تلقَّها من صحيفة، إلا أنه أكثر فيها للحن..."¹

وعن الإمام الذي لزمه العياشي مدة الإقامة بورقلة، ذكر أنه كان يلحق لحنا فادحا في خطبته للجمعة ويكثر الخطأ ويتردد في القراءة ولا يفهم ما يقرأ حتى وصل الأمر إلى تخوُّف العياشي من ألا تصحَّ صلاته معه.²

ولم يقتصر الأمر على ذلك فان معلوماته التاريخية فقيرة كمبادئه النحوية ويظهر هذا عند إرسال العياشي لبعض أصحابه إلى الإمام ليسأله عن المدعو له في الخطبة، فيقول: " فلما فرغت من الصلاة بعثت إليه احد أصحابنا ليسأله عن المهدي المدعو له في الخطبة أهو المنتظر أم أحد المنتحلين ذلك فيما مضى، فلما سأله عن ذلك فإذا هو لا يفقه شيئا من ذلك حيث قال: " أظنه النبي صلى الله عليه وسلم "، فيظهر أنه يخلط بين المهدي المنتظر بن تومرت والنبي صلى الله عليه وسلم.³

وهذا الأمر أيضا ينطبق أيضا مع أخيه، حيث يقول العياشي: "وهما معروفان بأولاد الفقيه منصور، وهما أقرب ما رأيت في هذه المدينة بسيرة الطلب، وما أظن أحدا منهما يحسن بابا من أبواب أي علم"، وقد عبر عن تلك الحالة متأسفاً ببيتين أوردهما من

¹-أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص79.

²-مولاي بلحميسي، "مدينة ورقلة في رحلة العياشي..."، المرجع السابق، ص69.

³-أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص118.

الفصل الرابع:.....الحياة الثقافية والفكرية في نظر الرحالة

الشعر:

ولكن البلاد إذا إقشعرت وصوّح *** نبتها رعي الهشيم.¹

وما يلاحظ أن هذا الوضع قد انتشر في البوادي وذلك راجع إلى قلة المؤسسات التي تعنتي بالجانب العلمي والثقافي مقارنة بالمدن، التي عرفت بنشاطها العلمي الأكثر فعالية.

وهو ما نجده عند الورثاني، فقد ألمه كثيرا ما رآه من مظاهر الجهل الذي حل ببعض المناطق في أحد مساجد طولقة ببسكرة فقال: "لما دخلت مسجدها لم أجد قارئاً ولا مدرساً سوى رجل واحد يقرأ لوحة وهو ملقى أمامه يقرأه على غير أدب ولا استقامة... وقد ودنا عمارتها بالعلم والعمل وتدريس العلم وذكر الله أناء الليل وأطراف النهار في ذلك المسجد المشيد"²، ونفس الوضع نجده عند الرحالة اليوسي في قوله: "لم أجد بينهم من يقرأ أو يقرئ، ولا من يضيف من يقرأ"³.

مما سبق من حديث وما صورته لنا العياشي، يضعنا أمام صورة سوداوية لوضع المؤسسات الثقافية، والتي تكاد تكون صورة واحدة لدى غيره من الرحالة، ولعل هذه الصورة التي نقلها كانت نتيجة الأوضاع وما تميزت به الحياة عامة في هذا العصر من فوضى وانعدام الأمن وكثرة الاضطرابات في الحياة السياسية وكذلك الأوبئة والكوارث.

وقد جسد لنا أبو القاسم سعد الله هذه الصورة عن مخطوط كعبة الطائفين التي يقول فيها مؤلفها: " فكيف ينبغي لعاقل أن يزهد في مطالعة الكتب المشحونة بنقل العلوم النافعة، بعد أن أتته عفوا صفوا، ولم يدر المسكين ما نال مؤلفيها من التعب في جمع دررها المنثورة من معادنها، واستخراج كنوزها المكنونة في خزائنها. وليتهم مع هذا وجدوا زمانا هنيئاً، أو مساعدا مرضياً، أو خلاً وفيئاً، بل لم نجد نحن في هذا الأخير من القرن

¹ -أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص118.

² - الحسين الورثاني، المصدر السابق، ص121.

³ -محمد بن الحسن اليوسي، رحلة اليوسي، تح: أحمد الباهي، بيت الحكمة، ط01، 2018م، ص87.

الفصل الرابع:.....الحياة الثقافية والفكرية في نظر الرحالة

الحادي عشر، إلاّ العقارب واللفّاع، والشّقاق والنزاع¹.

المبحث الثاني: التواصل الثقافي بين الرحالة وعلماء المنطقة

بالرغم من الصورة السلبية التي رسمت عن المنطقة والضعف الذي أشار إليه العياشي في رحلته، فإن هذه الأخيرة لم تخلوا من ذكر الشخصيات المهمة بأمور العلم وتعليمه، وكذا العلماء الذين التقى بهم وأثبتهم هو بنفسه، فنجد أنّ أول استفادة قدمها هي التعريف بالعلماء الذين التقى العياشي ومؤلفاتهم وكذلك العلوم المنتشرة آنذاك.

المطلب الأول: في ذكر بعض أعلام المنطقة

كثيرا ما كان العياشي يهتم بقاء كل ما له باع في العلم للتواصل والتبادل المعرفي فيما بينهم، ففي توات التي مكث بها 12 يوما تقريبا، ذكر لنا العياشي جملة من أعلامها ممن التقى بهم ومنهم الشيخ محمد بن إسماعيل المنساوي القراري (1064هـ/1654م)²، الذي درس على يد الشيخ اللقاني بمصر، وقال العياشي أنه ينتحل السيمياء والكيمياء، فكان أعجوبة زمانه حيث جال في مختلف الأقطار الإسلامية وكانت له مكتبة عامرة قلّ نظيرها.³

كما التقى العياشي بالشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أبي بكر الأوقروتي، من أهل أوقروت، وكان أيضا من علماء القرن الحادي عشر، حيث وصفه قائلا: "...وله بعض الخبرة بفروع الفقه"⁴، وقد جرى بينه وبين العياشي نقاش طويل حول مسائل فقهية مختلفة.

¹ -أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ج1، ص164.

² -أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص82.

³ -جعفري مبارك، الحياة العلمية في اقليم توات وإنعكاساتها جنوب الصحراء خلال القرن (12هـ-18م)، مذكرة

مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص دراسات افريقية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008-2009م، ص73.

⁴ -أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص ص108.

الفصل الرابع:.....الحياة الثقافية والفكرية في نظر الرحالة

كما أشار العياشي إلى اهتمام أهل بلد تقرت وفقهاءها بالتحصيل والاستزادة ومنهم مفتيها وسيدي علي محمد بن إبراهيم بن سيدي علي الأنصاري، الذين خرجوا إليه وظلوا يترددون عليه طوال فترة إقامته بتقرت، وسألوا في خضم ذلك على مسائل كثيرة كألغاز الحريري، كما استحسنوا قصائد العياشي في الوترية،¹ وهو ما يبين الاهتمامات الكبيرة بهذا المجال من الأدب.

ومن المشايخ العلماء أيضا الشيخ محمد بن عبد الكريم التواتي التمنيطي، وقد التقى به العياشي يوم 14 جمادى الثانية 1078هـ، في تقرت (قاعدة وادي ريغ)، وهو أحد تلاميذها وقال عنه العياشي: " قد شدد طرفا من الفقه والنحو وله بعض الخبرة بعلم العروض، وخرق إجماع متفقهة البلد سواء...."²، وأشار صراحة، إلى أن محمد بن عبد الكريم، قد تتلمذ عليه، فدرس عنه منظومة الشيخ ابن أبي الفرج الاشبيلي وألقاب الحديث وأعطاه مجموع فيه عدة تأليف، يقول العياشي: "...وقد اغتبطت به كثيرا"، كما أخذ منه سيدي محمد عبد الكريم الكراسية التي جمعت معاني لو الشرطية³ والكراسة التي سماها "تشبيه الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية"⁴.

أما والده الذي ذكره بعالم توات، فهو الشيخ عبد الكريم بن أحمد بن أبي محمد التواتي (1042هـ/1633م)⁵، كان من أبرز علماء توات، عند اجتماعه به سألته أبي سالم

¹ - مولاي بلحميسي، المصدر السابق، ص 91.

² - مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 90. وتجدر الإشارة إلى أن الأستاذ بلحميسي، قد ظنه المغيلي، فراح يترجم له.

³ - واسم هذه الكراسية، المباحث المرضية فيما يتعلق بلو الشرطة، وقد أشارت نفيسة الذهبي إلى أنها ناقصة، أبو سالم العياشي، اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر، المصدر السابق، ص 67.

⁴ - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص 121-122.

⁵ - من شيوخه سعيد قدورة الجزائري، والشيخ أحمد بابا التمبكتي، وقد تتلمذ على يديه جملة من الشيوخ ممن أسهموا في بناء الحركة العلمية في القرن الثاني عشر، مثل الشيخ أحمد بن يوسف التتلائي مؤسس زاوية تنلان، والشيخ محمد بن علي الأوقروتي، كما ترك العديد من المؤلفات، منها: غاية الأمل في إعراب الجمل، ورحلة بعنوان تحفة المجتاز إلى معالم أرض الحجاز ينظر: جعفري مبارك، الحياة العلمية في إقليم توات ...، المرجع السابق، ص 74.

الفصل الرابع:.....الحياة الثقافية والفكرية في نظر الرحالة

في الفقه والنحو فأجابه أحسن جواب، وكان كل ما أجابه في مسألة يقول له "أحسن يا ابن عالم توات فلا يخرج من النحل إلا العسل"¹.

وفي سيدي عقبة، التقى العياشي بأحد أعلامها وهو عبد الله الرماصي، وقال العياشي أنه من أهل الخير، وقد قرأ عليه العياشي أول صحيح البخاري من رواية أبي ذر.²

المطلب الثاني: أهم العلوم والمؤلفات المنتشرة

إن الازدهار الحضاري والحياة الثقافية لأية أمة في أي عصر من العصور، يرتكز أساسا على التقدم ورقي العلوم والفنون فيه،³ لذلك فإن تعرّض العياشي في رحلته لهذا الجانب يعطينا صورة عن الوضع الثقافي في المنطقة، فقد اطلع الأخير على بعض التأليف وخزائن الكتب في المناطق التي زارها في الجنوب الجزائري، والتي كانت بحوزة بعض العلماء ممن انشغلوا بجمع الكتب والمخطوطات، تناول فيها أصحابها بعض الفنون التقليدية وفروع المعرفة من لغة وتفسير وحديث، ونستنتج من ذلك أنّ العلوم الأكثر انتشارا في المنطقة في هذا العهد، هي تلك العلوم التي نجد لها ظلالها في رحلته.

فعند نزوله مع الרכب إلى قرية " والا "، وجدوا في روضة الولي الصالح سيدي محمد بن موسى سفرا من نوازل البرزلي⁴، بخط الإمام ابن مرزوق، " قد أفسد القطر جانباً منه، ومعه إجازات لبعض السادات القادرية،" فيقول: " تعجبنا من وصول تلك إلى

¹ - سيدي محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأعلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، تح: عبد الله العروي، دون دار نشر، د. ط، د: ت، ص 201.

² - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج 2، ص 547.

³ - أبو الراس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تح: بوركبة محمد، منشورات الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، د. ط، د: ت، ج 1، ص 44.

⁴ - البرزلي ابو القاسم بن أحمد القيرواني، الشهير بالبرزلي، فقيه مالكي ولد بالقيروان، وتوفي بها سنة 1438هـ، وله ديوان كبير في الفقه، والحاوي في النوازل وأيضا جامع مسائل الإمام بمن نزل من القضايا بالمفتين والحكام وهو المشهور بفتاوي البرزلي لصاحبه، ابن مخلوف، المصدر السابق، ص 135.

الفصل الرابع:.....الحياة الثقافية والفكرية في نظر الرحالة

هذه القرية، والظاهر أن هذه الكتب كانت محفوظة بالمكتبة السنوية، التي ترجع إلى صاحبها سيدي محمد بن إسماعيل القوراري، قال العياشي انه خلف كتباً كثيرة، أوقف بعضها للروضة النبوية الشريفة بالحجاز، ويقول العياشي في ذلك "...وقد أخبرني بنفسه أن كتبه تبلغ قريباً من ألف وخمسة مائة تأليف...وهي كتب نفيسة جداً".¹

كما أشار الرحالة إلى كتب أخرى من أجزاء الموطأ، البخاري والإكمال وبعض شراح المختصر-مختصر الخليل- والرسالة، التي وجدت عند إمام المسجد الذي صاحبه بمدينة ورقلة.

وفي موضع آخر يشير العياشي، إلى أنه وجد في خزانة الأمير علاهم الذي له بعض الإلمام بالمسائل الفقهية، حوالي 40 كتاباً في التوضيح والتتائي²، وبرهام³، وحواشي على الصغرى.⁴

وقد حاول العياشي استعارة الآبي واليعمري من أخ الأمير، فكتب له في قصيدة من 08 أبيات نذكر منها ثلاثة أبيات التي تقدم فيها الطلب:

فمن بالآبي على مسلم *** ثم أرده إليكم غدا

أنظر فيه نقطة أشكلت *** علي في بعض الذي أسندا

وابعث إلينا سيرة اليعمري *** أيضاً فأنت خير من أسعدا⁵

ويتضح لنا من خلال ما أورده العياشي أن العلوم السائدة خلال هذه الفترة لم تخرج

¹ - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج1، ص108.

² - أبو عبد الله محسن الدين محمد بن إبراهيم التتائي، فقيه وقاضي، تصدر التأليف والاقراء، له البرهان المختصر وشرح على ابن الحاجب، توفي سنة (541هـ-1201م)، ينظر: ابن مخلوف، المصدر السابق، ص193.

³ - برهام بن عبد الله بن عبد العزيز تاج الدين السلمي النميري، فقيه حامل لواء المذهب المالكي بمصر، كان محمود السيرة لين الجانب كثير البر له شروح في المختصر وشرح المختصر لابن الحاجب، ينظر: الزركلي، الأعلام، المصدر السابق، ج3، ص74.

⁴ - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص ص117-118.

⁵ - مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص91.

الفصل الرابع:.....الحياة الثقافية والفكرية في نظر الرحالة

عن العلوم الإسلامية، كعلوم اللغة، وعلوم الدين: من نحو، وتفسير، وقراءات، وحديث، وتميز الإنتاج العلمي والثقافي في هذه المرحلة، أن معظمه شروح وحواشي للمصادر الفقهية الكبرى.

وكان التعامل مع هذه العلوم بسيطاً ببساطة طبيعة المرحلة، فقد سيطر عليه النقل وتقلص عندهم دور العقل، واقتصرت جهود العلماء في أعمال السابقين فاعتكفوا عليها يشرحونها ويكررونها دون تجديد.¹

المبحث الثالث: الحضور الصوفي وتأثيره على المجتمع

مع شيوع ظاهرة التصوف واختلاطه مع المبتدعة من ظواهر سلبية، كالدروشة والطرقية في أوساط العامة، تحولت هذه الظواهر من سلوكيات إلى عوائد سلبية التصقت بالدين،²ومن العادات والطقوس الشائعة آنذاك هي ظاهرة التبرك بالأضرحة ورجال الحضرة الذين يعتقد فيهم بالولاية والصلاح، والتي كان تُشَدُّ الرُّحَلُ إليها من مختلف الأصقاع.

وتظهر هذه الصفة حتى لدى رحالتنا التي طغت عليه الصوفية³، فقد تعرّض في رحلته إلى الحديث عن معظم الأضرحة والمزارات والقباب الواقعة في طريقه إلى الحج، كما أورد الكثير من الزيارات للأولياء والصالحين الأحياء منهم والأموات الذين حرص على زيارتهم على عادة الحبيب وحتى أهالي المنطقة فيقول عن ذكر الأولياء: "...فليحرص المرء كل جهده على لقائهم ورؤيتهم والتبرك بهم".⁴

ومن الأضرحة المزاراة آنذاك ضريح سيدي أحمد بن موسى في زاويته بمنطقة بني

¹ - أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ج1، ص19.

² - حنيفي هلال، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 2009 م، ص244.

³ - خالد التوزاني، الرحلة وفتنة العجيب، المرجع السابق، ص131.

⁴ - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص541.

الفصل الرابع:.....الحياة الثقافية والفكرية في نظر الرحالة

يخلف، أين قال: "وزرنا بأول قرية -توات- قبر الولي الصالح المتبرك به حيا وميتا"، وقد زار أيضا ضريح محمد بن الصالح بنني عباس، والمعروف "بعرين الرأس"، كما ذكر ضريح عبد الله بن طمطم الذي زاره أمير ركب الحج السجلماسي مع أصحابه، إلا أنه لم يتيسر للعايشي زيارته¹.

وكان تقديس الصلحاء يشمل حتى الأعراب، فعن أحد الصلحاء ممن تؤثر عليهم كرامات يذكر العياشي عنه: "حتى الأعراب على عتوهم واستتكارهم لا يقربون لأذيته"². ولما نزل العياشي مدينة المنيع، ذكر الشيخ الولي الصالح "سيدي الحاج أبو حفص" من ذرية سيدي عبد القادر بن بوسماحة، فيقول عنه: "فيه هدى وسعة حسن وتمسك مثابر على فعل الخيرات من جهاد وحج فقد أفنى غالب عمره في التردد إلى الحرمين الشريفين"³.

ورغم أن العياشي قد زار بعد ذاك كل من ورقلة ونقوسة وتقرت ووادي سوف وقرية الرياح، إلا أنه لم يذكر في هذه النواحي، أنه قد زار ضريحا أو وليا، حتى خروجه من الأراضي الجزائرية داخلا تونس⁴.

وفي منطقة الزيبان وبعد عودته من الحج، مرّ في طريقه إلى ضريح سيدي عقبة، إذ يقول العياشي: "وأما سيدي عقبة المنسوب إليه القبر فهو عقبة بن عامر التابعي وهو الذي فتح بلاد افريقية(تونس) وبنى مدينة القيروان"، وهذا الضريح وهذه المدينة تقصدها الأركاب للزيارة من كل نواحي افريقية كلها⁵.

وفي بسكرة زار العياشي الشيخ الصالح الطيب بونصير الذي جمع بين الزهد والورع⁶، وكذلك من جماعة كبار البلد من الأحياء الصالحين أيضا، كسيدي محمد بن

¹-أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص- ص78- 80.

²- المصدر نفسه، ص 80.

³- نفسه، ص111.

⁴- قادة دين و بوسليم الصالح، المرجع السابق، ص275.

⁵-أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج2، ص 542.

⁶-يدعي أبي الفضل تلميذ أبي الفضل النحوي المشهور بسيدي زرورة، الورثاني، المصدر السابق، ص 27 .

الفصل الرابع:.....الحياة الثقافية والفكرية في نظر الرحالة

بوعلي الولي الصالح الذي عُرف بكراماته الكثيرة منها مزاعمه على لسانه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: "أن النار لا تمس من رآك"، فسَلَّمَ الناس بقوله وانتشر صيته في ذلك الوقت في تلك البلاد.¹

كما زار العياشي ضريح أبي الفضل حيث يقول: "...ودخلت لزيارة أبي الفضل، رضي الله عنه، وقبره خارج المدينة وحوله مسجد ومساكن أقوام من جيرانه".

ومن الأضرحة أيضا التي تزار من طرف الحجيج عادة ضريح سيدي عبد الرحمان الأخضرى²، ولهذا الشيخ مؤلف في السلوك تشابه المباحث الأصلية، كما له مقدمة في الفقه والتي اعتكف عليها الناس مشرقا ومغربا، يقول العياشي: "دخلنا لزيارته وصلينا بمسجده"³، كما زار هذا المشهد الحضيكي أثناء رحلته فيقول: "ثم مررنا في الغد على قبر خلوة الشيخ العلامة الهمام سيدي عبد الرحمان الأخضرى"⁴، وكان هذا الضريح يزار بحسن نية وجميل الاعتقاد⁵.

ومن الأضرحة أيضا التي كانت تزار، على حسب تعبير العياشي، القبر المنسوب إلى نبي الله خالد بن سنان عليه السلام وقد مدحه العياشي بأبيات شعرية منها:

يا نبي الإله يا ابن سنان ***
خالدا جُذْ لخائفِ بأمان

¹ -أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج2، ص ص539-540.

² - عاش في القرن العاشر هجري، تميز عصره بالانحطاط كما أشار هو بذلك في كتابه السلم المرونق، وقد دأبت شهرته في الأواسط العلمية بفضل المختصرات التي ألفها للمؤسسات التعليمية والدينية، وضريحه مشهور وهو مزار في زاوية بنطيوس من قرى بسكرة. ينظر: ناصر الدين سعيدوني وأبو عمران الشيخ، معجم مشاهير المغاربة، الملكية للطباعة والإعلام والنشر والتوزيع، د. ط، 1995 م، ص31.

³ -أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص 542.

⁴ -أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج1، ص 225. وأيضا: الحضيكي، الرحلة الحجازية، المصدر السابق، ص ص85-86.

⁵ -أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج2، ص548.

الفصل الرابع:.....الحياة الثقافية والفكرية في نظر الرحالة

مذنب يطلب السماح ويرجو *** نفحة تطلق الأسير العان¹

وقد أشار العياشي إلى أن هذا الضريح من المزارات العظيمة، كانت تقصده الناس من جميع الأنحاء الإفريقية كلها والناس يؤثرون عن ذلك المشهد كرامات وهو أن عبد الرحمان الأخضرى هو من أخبر عن ذلك القبر فسلم له أهل البلد لذلك، فاشتهر أمره عند الخاص والعام والبدو والحضر، كما قال الناصر الدرعي خلال زيارته له.² وهو ما أكدّه الزباني في رحلته "الترجمانة الكبرى"، فيقول عنه: "أنّه مشهور بتلك البلاد وهو من المزارات العظام ويقصده أهل الوسطة والزاب³.

مما سبق الإشارة إليه في هذا الفصل، وحسب ما نقله العياشي عن المؤسسات الدينية والثقافية، قد تميزت بفنّها المعماري وجمال عمارتها ومآذنها العالية من جهة، كما أشار إلى دورها في تنشيط الحياة الثقافية، ورغم ما صوّره العياشي عن حال تلك المؤسسات من ضعف في التحصيل الثقافي وحتى الديني، إلا أنها ظلّت مراكز ثقافية أساسية لنشر العلم، كالزوايا التي كانت تستقطب الطلبة، وفي نفس الوقت مكان للإطعام وكذا مأوى للوافدين.

كما نجد أن تلك الزوايا وطرقها الصوفية قد فرضت أفكارها على المجتمع واستطاعت تقييده بأفكار ومعتقدات خرافية، فسادت ظاهرة تقديس وزيارة الشيوخ والأولياء وهم أحياء وكذا بعد موتهم في أضرحتهم التي بنيت عليها القباب والتي كانت تأتيها من أغلب المناطق والنواحي القريبة والبعيدة، ولم تكن تلك الزيارات إلّا دليل على التّوجه الصوفي للمجتمع الجزائري عامة والصحراوي خاصة.

¹ - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص 543.

² - المصدر نفسه، ص 542، وأيضا: أبو ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية الكبرى، المصدر السابق، ص 139.

³ - أبي القاسم الزباني، الترجمانة الكبرى في أرجاء المعمور برا وبحرا، تح: عبد الكريم الجيلاني، دار المعرفة للنشر، الرباط، د. ط، 1991م، ص 154.

المفصل الخامس:

الأوضاع الاقتصادية السائدة عصر

الرحلة والرحالة

المبحث الأول: النشاط الزراعي

المبحث الثاني: النشاط الاقتصادي

المبحث الثالث: النشاط التجاري

الفصل الخامس:.....الأوضاع الاقتصادية السائدة عصر الرحالة

حرص العياشي خلال رحلته بتتبع مختلف الجوانب الاقتصادية، كاهتمامه بوصف النشاط الزراعي والفلاحي لبعض المناطق التي سار عليها بمختلف تضاريسها وتربتها وغطائها النباتي وكذا مدى صلاحيتها للزراعة من عدمها، إلى جانب ما لاحظته من مختلف المظاهر التجارية التي عاينها عن قرب ولمس خصائصها عن طريق المعاينة والمعاملة كالقوافل والأسواق التجارية... وغيرها، وكل هذه المعاينات يمكن أن نستدل من خلالها مدى الحركية الاقتصادية لمنطقة الصحراوية كما سنشير إليه في هذا الفصل.

المبحث الأول: النشاط الزراعي

المطلب الأول: استغلال المياه الجوفية للزراعة

يعد الماء أحد مقومات الحياة، ويعتبر في الصحراء مصدر الحياة¹ لأنه أصل الثروة الفلاحية والشرط الرئيسي لكل الزراعات²، ومثلما كان لهذه المياه أهمية لدى سكان المنطقة، فإن اكتشافها واستغلالها والاستفادة منها وإدامة جريانها والحفاظ عليه، أمر لا يقل أهمية وهو ما سوف نوضحه من خلال استعراض الجوانب التالية:

1. المياه الجوفية

ساعد الموقع الجغرافي للمنطقة الواقعة على طول طريق القصور، أن تستغل المتوفر من المياه لتُنشئ تلك المدن والواحات العامرة بما يضمن استمرار الحياة وتسهيل نمط المعيشة³.

¹-نعيمة طيب بوجمعة، "البيئة البصحراوية وأثرها في توجهات الحياة الاقتصادية- دراسة تاريخية-"، مجلة القرطاس، ع 9/جويلية 2018م، ص76.

²-قادة دين، "أنماط تواجد الماء في الصحراء الجزائرية وطرق استغلاله من خلال المصادر"، مجلة قضايا تاريخية، ع 07/2017م، ص70.

³-قادة دين، "أنماط تواجد الماء في الصحراء الجزائرية..."، المرجع نفسه، ص70.

الفصل الخامس:.....الأوضاع الاقتصادية السائدة عصر الرحالة

وفي هذا الصدد يذكر العياشي العديد من مصادر المياه ومنها الأودية كوادي جبر الذي وصفه في قوله: " وهو وادي كبير فحيح، ملتف الأشجار، قليل الأحجار، كثير المراعي، تجتمع إليه السيول من المسافات البعيدة....، وعليه قرى ومزارع... والعمارة متصلة في جوانبه إلى أن يصل إلى أطراف الحماد الكبير، فهناك تنقطع العمارة ".

وبالقريب منه يأتي وادي الساورة وهو حسب العياشي من أطول الأودية في المغرب العربي، به العديد من القرى وبني عباس¹ التي اشتهرت بكثرة النخيل والبساتين²، ويتواصل وادي الساورة جنوبا حتى منطقة توات تحت مسمى آخر وهو وادي مسعود، الذي منه تتوزع على ضفتيه العديد من الواحات والقصور.³

وبالاتجاه شرقا من وادي الساورة، يأتي وادي إيمكين المعروف بوادي صالح، ويبدأ من إقليم توات إلى ورقلة، حيث يقول: "ومعاطن المياه كثيرة في هذا الوادي، وقلّ ما يخلوا من منهل وماءه عذب غزير".⁴

وهناك العديد من الأودية الأخرى عبر الصحراء مثل وادي ريغ ووادي إيغرغار اللذان يصبان في الجنوب الشرقي، ووادي ميزاب الذي يصب بالمنطقة الشمالية الغربية.⁵ وفي شمال الصحراء من جهة الشرق يذكر العياشي وادي مساعد ووادي الأثمور الذي وجدوه حاملا وأيضا وادي الغسول الكثير الالتفاف بالأشجار.⁶

ولم يقتصر العياشي على ذكر الوديان فحسب، حيث نجد في رحلته أيضا إشارات لوجود معاطن وينابيع للماء العذب، فعند نزوله بالقلعة يقول: " وبها آبار كثيرة مليئة

¹ - قصر على نحو 225 كلم من بشار، على طريق القوافل بين الشمال والتوات وقرارة والهوقار، ينظر: مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص 67.

² - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص 76.

³ - قادة دين، المرجع السابق، ص 71.

⁴ - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص 113.

⁵ - الأزهاري عبا، المرجع السابق، ص 99.

⁶ - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج 2، ص 547.

الفصل الخامس:.....الأوضاع الاقتصادية السائدة عصر الرحالة

بالماء، وعند وصولهم إلى زيرارة وجدوا بها بئرا طويلة جدا متواجدة في بسيط من الأرض، ويقول عنه أعراب ذلك البلد: "ما أحلى ماءك وما أبعد يا زيرارة"¹.

وبذلك نلاحظ أن المناطق الصحراوية بواحتها الكثيرة والوديان والمعاطن التي سبق ذكرها، استطاعت من خلالها تشكيل القصور والواحات الصحراوية.

2. طرق استخراج المياه

استطاع أهالي الجنوب استغلال الثروة المائية الجوفية العذبة بتقنيات متعارف عليها في بلاد الجنوب الجزائري وبلاد توات في الجنوب الغربي، حيث قام الأهالي بحفر الآبار التي أصبحت تمثل مصدرا أساسيا لسقي واحات النخيل.²

وقد وصف العياشي طريقة حفر تلك الآبار (العيون التقليدية) وصيانتها عند أهل ورقلة ووادي ريغ فيقول: "...ومن غرائب هذه البلدة، استخراج عيون الماء غزيرة بحفر الآبار، فيحفرون بئرا بنحو من خمسين قامة، ثم يصلون إلى حجر مصفح على وجه الأرض، فينفرونه، فإذا نقبوه فاض منه الماء فيضانا قويا ويطلع كذلك بسرعة إلى فم البئر ويصير عينا، فإن لم يتدارك الحافر بالجذف أغرقه الماء..."³

كما ذكر العياشي في وصفه لطرق الري في منطقة ورقلة بأن هناك أساليب أخرى مثل " القلّت"، وهي عبارة عن مستنقع صغير يستعمل للحفاظ على المياه بعد جفاف الوديان للحفاظ عليها لفترة من الزمن.⁴

ونفس الاتجاه ذهب إليه الأغواطي فيقول حول هذا الأمر: "...ولورقلة منابع مائية كثيرة، والماء يجلب فيها بحفر البئر بعمق مائة وسبعين ذراعا، حيث يصل إلى البحر

¹ - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج1، ص112.

² - طرطاق الورد، "أنظمة الري التقليدية في الزراعة الصحراوية (إقليم وادي ريغ أنموذجا)"، مجلة العوم الاجتماعية والإنسانية، ع 32 / جوان 2015م، ص208.

³ - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص118.

⁴ - الأزهاري عبا، المرجع السابق، ص101.

الفصل الخامس:.....الأوضاع الاقتصادية السائدة عصر الرحالة

الحلو فيمتلئ البئر في الحال بالماء ويصبح جدولا جاريا"¹

3. نظام الري:

عمد أهالي المنطقة إلى نظام سقي معتمد وفق طرق علمية ومثالية لتوزيع مياه العيون بين أصحاب البساتين أو "الأجنة" كما سماها رحالتنا، ويكثر استخدام هذا النظام بجانب القصور، حيث يتم سقي هذه البساتين بمياه الفقاقير، القلت أو الخطارة² عند أهل توات (أنظر الملحق رقم 07)، وقد سمح هذا النظام بإيجاد الواحات، بحيث أن امتداد هذه الواحات وكبر مساحتها يتوقف على كمية المياه المتوفرة من المنابع والعيون وعلى مساحة الأرض الصالحة للزراعة³.

وقد أشار العياشي إلى الآبار التي امتدت على طول إقليم توات، فيذكر أن بها نظام لجلب الماء يشمل بلاد توات وأوقرت كلها ويسمون هذه الطريقة بالفقاقير، وكانت تتوزع بشكل متساوي وبشكل دوري حيث يقول: "...وأغلب بساتينهم بالخطاطير،...وهي آبار متعددة يقفر من جنب كل واحد للآخر فيزيد ماءه وينمو مع زيادة غيره عليه، ولا يزال كذلك حتى يخرج على وجه الأرض فتستقر به الأجنة والمزارع، ويجزأ أجزاء كثيرة بالأيام، وقد يجزأ اليوم الواحد بأجزاء كثيرة"⁴.

ومن هنا يظهر لنا مدى أهمية المياه التي لعبت دورا أساسيا في تطور وازدهار الواحات والقصور.

¹ - الأغواطي، المصدر السابق، ص 75.

² - وهي عبارة عن سلسلة مترابطة من الآبار، تأتي من مكان مرتفع ثم تستمر في الانحدار إلى أن يخرج الماء على السطح، للمزيد ينظر: جعفري مبارك، "الحياة العلمية في إقليم توات وانعكاساتها جنوب الصحراء"، المرجع السابق، ص 55. وأيضا مولاي بلحميسي، "مدينة ورقلة في رحلة العياشي"، المرجع السابق، ص 87.

³ - خليفة عبد القادر، "البنى الاجتماعية وعلاقتها بالمجال العمراني في مدن الصحراء الجزائرية"، المرجع السابق، ص 141.

⁴ - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص 82.

الفصل الخامس:.....الأوضاع الاقتصادية السائدة عصر الرحالة

المطلب الثاني: المنتوجات الزراعية

1. زراعة النخيل

إن أهم ما ميّز هذه الأقاليم الصحراوية في هذه المناطق عموما عن غيرها، هي زراعة النخيل التي اعتبرت المورد الأساسي لمعظم السكان ومصدر معيشتهم وفي نفس الوقت باعتبارها مادة تجارية أساسية¹، شكّلت النخلة في مجملها واحات ومدن ذات أهمية إستراتيجية جعلت منها مراكز مستقطبة لمختلف النواحي الاقتصادية والاجتماعية... إلخ². ومن بين هذه المناطق توات التي أشار إليها العياشي في قوله: "وبها من التمر أنواع كثيرة"³

وتعتبر ورقلة هي الأخرى أكثر كثافة من حيث نخيلها حسب ما يشير إليه العياشي في قوله: "...وتراءى لنا نخل واركلا كأنه سحابة وطفاء، أو ناقة عجفاء...". ويؤكد هذا الرأي الرحالة الأغواطي على حد تعبيره، فهي "تعجّ بأشجار النخيل"⁴. وقد انتشر هذا النوع من الزراعة في بسكرة أيضا، حيث يذكر العياشي واصفا خيراتها قائلا: "وهي ذات نخل كثير وزرع كثيف...بها مجاري في نواحيها وزرع وحناء إلى غير ذلك من الفواكه والخضر"⁵. وهذا ما أكدّه أيضا الرحالة اليوسي الذي أشار إلى "كثرة نخيلها"⁶، وكذلك الناصري الذي يسميها بـ"بسكرة النخيل"⁷.

¹-الطيب بوسعد، الصحراء الجنوبية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني، المرجع السابق، ص67.

²- عبد الرحمان التتيلاني، الرحلات الجزائرية، ص 58.

³-أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص79.

⁴-أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 251.

⁵-أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص114.

⁶-محمد اليوسي، رحلة اليوسي، المصدر السابق، ص42.

⁷-أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، د. ط، 1931م، ص138.

الفصل الخامس:.....الأوضاع الاقتصادية السائدة عصر الرحالة

ومن القرى أيضا التي ذكرها العياشي قرية أولاد جلال فهي من أبدع واحات الجنوب،¹ ومن أكبر قري الزاب.²

أما تماسين وهي واحة من واحات وادي ريغ³، فيذكر الوزان أنها تميزت "بكثرة الأملاك الواسعة والمتوفرة النخيل"⁴.

ونستنتج من خلال وصف العياشي وكذلك الرحالة أن النخيل هي الزراعة الطاغية على المناطق الصحراوية من 7الزراعات الأخرى.

2. منتوجات أخرى:

نظرا للاهتمام الكبير الذي أولاه أهل المنطقة بالزراعة، فإنهم استطاعوا بجهودهم عن طريق استصلاح التربة وكذلك معالجتها، من تحويل الأراضي إلى بؤرة حيوية تدر مختلف الغلات⁵، فهذا العياشي يذكر لنا في ذلك طريقة أهل واد سوف لغرس ثمارهم المتنوعة، بحيث أنهم "إذا أرادوا غرس النخيل، بحثوا قليلا في الأرض حتى يصلوا إلى الماء، فيغرسونها بحيث تكون أصولها في الماء، ثم يردون عليها الرمل فلا تحتاج إلى السقي أبدا، ولولا ذلك لماتت، وكذلك يفعلون مع أنواع الخضر والفواكه والبقول وسائر ما يغرسونه"⁶. نستشف من خلال قوله أن السكان لم يكتفوا بزراعة النخيل لوحده بل تعداه إلى زراعة بعض المنتوجات الاستهلاكية الأخرى وذلك بحسب ما تسمح به المساحة المروية⁷، ومن المدن التي عرفت بتنوع أشجارها قرية بني عباس، فعند وصول العياشي

¹-زهير زاهري، خلاصة تاريخ بسكرة، المرجع السابق، ص11.

²-أبي سالم العياشي، المصدر السابق، ج 2، ص545.

³-عادل العربي، المرجع السابق، ص132.

⁴-محمد الطاهر عبد الجواد، "وادي ريغ (تقرت) أيام بني جلاب"، ضمن ملتقى التاريخي من 23-24 أفريل 1998م، حول فترة حكم وادي ريغ، ط01، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، ص57.

⁵-الطيب بوسعد، "الصحراء الجنوبية الشرقية الجزائرية"، المرجع السابق، ص442.

⁶-أبي سالم العياشي، المصدر السابق، ج1، ص123.

⁷-ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص543.

الفصل الخامس:.....الأوضاع الاقتصادية السائدة عصر الرحالة

إليها لاحظ وجود الكثير من الفاكهة والبساتين الحسنة.¹

وفي ورقلة استطاع أهلها تفادي عواقب المناخ الجاف فأصبحت بفضل حجزها لطبقات المياه الجوفية، كما ذكرنا سابقا بغرض الري، الواحة تشمل حتى أشجار الفواكه منها التين والرمان والمشمش والليمون والبرتقال، على أن المصدر الأساسي للثروة بقي التمر الجاف والطري². وكذلك الأمر بالنسبة إلى بسكرة حيث وجد العياشي بها "الكثير من النخيل والزروع الكثيف ومزارع الحناء إلى غير ذلك من الفواكه والخضر والبقول.³ وهو ما أكدّه الدرعي متحدثا عن بسكرة التي تتوفر فيها الأشجار المتنوعة الثمار فيقول: "وهي بلدة واسعة الأراضي بها محارث كثيرة وفواكه متنوعة".⁴

ويستنتج مما سبق أن الزراعة بالمنطقة الصحراوية، قد تحكمت فيها عوامل متعددة كنسبة الرطوبة وغيرها، و استطاع الصحراوي بجهده أن يتحدى الظروف الطبيعية القاسية وأن يجعل من المساحات الجرداء إلى واحات خضراء.

المبحث الثاني: النشاط الصناعي

المطلب الأول: النشاط اليدوي السائد في المنطقة

على الرغم من المعلومات الشحيحة في نص الرحلة حول هذا المجال، وقد يعود ذلك إلى عدم انتشار هذا النشاط في هذه الربوع، لطبيعة الخصائص الجغرافية للبيئة الصحراوية وتغلب الحياة البدوية، لهذا فإن النشاط الصناعي فيها اقتصر في معظمه على ما كانت تتوفر عليه المنطقة من مواد أولية، وقد قدم لنا صاحب الرحلة صورة لبعض مناطقها حول الحرف التقليدية كالصناعة النسيجية للثياب في ورقلة أين كانت

¹ - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص76.

² - إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المرجع السابق، ص160.

³ - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج2، ص540.

⁴ - أبو ناصر الدرعي، الرحلة الناصرية الكبرى، المصدر السابق، ص141.

الفصل الخامس:.....الأوضاع الاقتصادية السائدة عصر الرحالة

تلقى بالثياب الغير المستعملة على باب القصر¹، ونستدل من خلال الثياب الكثيرة الملقاة دون استعمالها على وفرة ذلك الإنتاج اليدوي.

كما نستشف من خلال زيارته إلى الولي الصالح الذي كان يعمل بداره على آلة لنسج الثياب وذكر العياشي أنها من عمل يده²، ويظهر هنا أن النشاط كان يقتصر على الحرف الوضيعة فهي لم ترتق إلى صناعة متطورة، وكانت في معظمها موجهة للاستهلاك المحلي حيث يعتمد عليها السكان لكسب قوتهم اليومي، وهو ما يشير إليه صاحب كتاب إقليم توات، بأن أهل المنطقة مارسوا الحرف والصناعات اليدوية داخل المنازل، وكانت صناعة الغزل ونسج الصوف والقطن تحتل صدارة كبيرة عندهم، ومن أهم المنتجات الأبسطة والأغطية والملابس كالبرانس وغيرها.³

إضافة إلى ذلك، استخدمت الحجارة كمادة أولية في بعض الصناعات، كصناعة الرحي لطحن الحبوب⁴ استخدام الطواحين التي تدر بالماء لطحن القمح، فقد أورد العياشي أنها كانت متعددة الأرحاء⁵. وبقرية أولاد جلال وعلى مقربة منها توجد مناجم الجص لشفاف، كما عرفت بصناعة الأنسجة الصوفية.⁶

إلى جانب ذلك كانت هناك بعض الصناعات الأخرى كصناعة الأسلحة وهو ما نلمحه في الرحلة، ففي مدينة الأغواط لاحظ العياشي أن جلّ أهلها صبيحة يوم العيد يحمل بحوزته سلاح خاص به⁷، من خلال قوله يظهر أن صناعة مثل هذه الأسلحة

¹-مولاي بلحميسي، "مدينة ورقلة في رحلة العياشي"، المرجع السابق، ص70.

²-أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص541.

³-فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، د: ط، ص60.

⁴-جعفري مبارك، الحياة العلمية في إقليم توات، المرجع السابق، ص ص61-62.

⁵-أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص540.

⁶-عبد الحليم صيد، أبحاث في تاريخ الزيبان، دون دار نشر، د: ت، ص19.

⁷-أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية في الديار النورانية، المصدر السابق، ج2، ص523.

الفصل الخامس:.....الأوضاع الاقتصادية السائدة عصر الرحالة

كان محليا.

وهو ما ذهب إليه الأغواطي خلال زيارته لها، حيث أشار إلى أنهم كانوا يعرفون بصناعة المدافع والبارود، فنجدّه يصف طريقة صنعها فيقول: " يجمع التراب من الأرض أو من ملاط في القرى المهدامة...، يوضع في ماعون ويصب عليه الماء إلى أن يصبح خائرا، ثم يوجد رطل منه ويخلط مع أربعة أرطال من الكبريت وأربعة أرطال من الفحم المستخرج من شجرة الدفلى".¹

بالإضافة إلا اهتمام السكان بزراعة النخيل لاستغلال ثمرها وعصيرها، دخلت بعض أجزاءها أيضا في صناعة العديد من متطلبات الحياة، إذ كان يصنع من خشبها الأبواب وسعفها المضلات، والسجاجيد، والحصائر، والمراوح والسلال والقفاف... وغيرها...، وكانت هذه المتوجات تسد حاجيات السكان ويصدر منها إلى خارج حدود المنطقة.²

المطلب الثاني: حرفة الرعي

من أهم الأنشطة التي توجه إليها أغلب سكان المنطقة الصحراوية الرعي، وذلك بحكم طبيعتهم البدوية ولأنها حرفة تلائم عدم الاستقرار، وقد شملت هذه الحيوانات الإبل والأغنام والخيول كما يذكر العياشي في رحلته ومنه قوله: "...ويخرج هذا البلد -توات- مرعى حبس للإبل صلت فيه إبل الحجاج أيام الإقامة"³ مما يدل على أن البلاد كانت تنتج كميات كبيرة من اللحوم والأصواف والجلود وقد عرفت بعض القبائل بنشاطها

¹ -الأغواطي، المصدر السابق، ص ص 90-91.

² -يمينة بن صغير حاضري، قصري تقرت وتماسين خلال فترة حكم بني جلاب (19-15م)، شهادة لنيل الماجستير في الآثار الإسلامية، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 2001م، ص 46.

³ -رشيد حفيان، الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها في العهد العثماني خلال القرنين (11-12هـ) و(17-18م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، 2013-2014م، ص 63.

الفصل الخامس:.....الأوضاع الاقتصادية السائدة عصر الرحالة

الرعي الذي تمارسه كمصدر للرزق، فتد على الأسواق أسبوعيا كل جمعة،¹ التي أشار إليها العياشي أثناء دخوله مع ركب الحجيج إلى ورقلة فإنه تصادف دخولهم معها فيقول: "...وكان من لطف الله بالحجاج أن صادف دخولهم دخول قافلة من الأعراب الأرباع قدمت بسمن كثير وغنم وإبل وزرع، واشترى الناس ما احتاجوا إليه بأرخص ثمن" ثم يتبع كلامه عن قبيلة أخرى تمتهن نفس النشاط "...وقدمت أخرى بعدها بيوم تحمل مثل ذلك وأكثر... واشترى الناس غنما كثيرا..."²

من خلال ما سبق يظهر لنا أن النشاط الصناعي اقتصر على الصناعة التقليدية، باستخدام المواد المتوفرة في مجالهم الصحراوي كجذوع النخيل وغيرها.

المبحث الثالث: النشاط التجاري

المطلب الأول: الطرق التجارية

لا غرابة أن يستطرد العياشي في الحديث عن ظاهرة البيع والشراء، التي كانت تجري بين أهالي المنطقة التي كان يحل بها، إذ شكلت الأخيرة مراكز عبور حيوية بفضل تنوع منتجاتها وخبرة سكانها في التعامل مع التجار الأجانب، ساعدها هذا على ازدهار نشاطها التجاري.³

فقد لعبت المنطقة دورا كبيرا عبر كامل فترات التاريخ في دعم النشاط التجاري، باعتبارها شريان التبادل التجاري ومحطة للقوافل العابرة للصحراء⁴، وخاصة الطريق الرابط بين الأقاليم للجنوب ببلاد المغرب العربي وهو الطريق الذي اتخذته العياشي في سفره إلى

¹ - أحمد بوسعيد، "الحياة الاجتماعية والقافية بإقليم توات"، المرجع السابق، ص 91.

² - أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، المصدر السابق، ج 1، ص 114.

³ - جميلة بن صغير حاضري، "الحركة التجارية بالجنوب الشرقي الجزائري منذ القرن 14 إلى القرن 17م"، مجلة الواحات، ع 2012/16، ص 222.

⁴ - مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 25.

الفصل الخامس:.....الأوضاع الاقتصادية السائدة عصر الرحالة

الحج، رغم وجود طريق بنفس المستوى شمالاً، أقرب من طريق توات، لكن فضل هذا الأخير مع حجاج بلاده، لتوفره على الماء والكلأ ولكثرة الواحات به، بما يوفر محطات الراحة منتظمة في الطريق، وهي أشياء أساسية للركب¹

ويلاحظ من وصف العياشي للحياة التجارية أنها مزدهرة، وأن أهل تسابت-إحدى قصور توات-، أصحاب تجارة، كما أنها "مجمع للقوافل التجارية الآتية من بلاد تنبكت، ومن بلاد أكديز بأطراف السودان الغربي"²، حيث كانت توات تربط بين المغرب العربي والبلدان الإفريقية، وبين الأطلس التلي والصحراوي.(أنظر الملحق رقم 08)

بالإضافة إلى توات، كانت كل من تقرت وورقلة التي زارها العياشي هي الأخرى محطة رئيسية للقوافل وملتقى للمسافرين والحجاج القادمين إليها من مختلف الأقاليم سواء المتجهة إليها من الجريد أو السودان الإفريقي، وساعدها في ذلك التوزع الزراعي والعمراني الذي شهدته المدينة³، ويتأكد هذا من خلال ما أورده العياشي، حيث يقول:..ونزلنا آنذاك باب المدينة المسمى باب السلطان...وكان من لطف الله على الحجاج أن يصادف دخولهم قافلة من الأعراب الأرباع تحمل سمن كثير وابل وزرع...واشتري الناس ما احتاجوا إليه بأرخص ثمن، وقدمت بعدها بيوم تحمل مثل ذلك وأكثر فتنعم الناس في اللحم والتمر والسمن، اشتري الحجاج غنما كثيرة حتى كان تلك الليالي الثلاث التي أقاموها ليالي منى من كثرة اللحم".⁴

وبالتالي كانت هذه الطريق الصحراوية محطة أساسية للحجاج المارين عليها،

¹-عبد القادر زبادية، "ورقلة عروس مدائن الجنوب"، مجلة الاصاله، عدد خاص من تاريخ ورقلة، ع41/ جانفي، 1977م، ص79.

² -أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص ص 79-80.

³ - لعبت القصور دورا كبيرا في تنشيط تجارة الرحلات التجارية حيث كانت تجتاز العروق والكتل البشرية ثم تتوقف بين هذه القصور للبيع والشراء وتتزود منها ما تحتاج من منتجات من أجل استهلاكها أو تصريفها للمزيد ينظر: الطيب بوسعد، "الصحراء الجنوبية من خلال المصادر"، المرجع السابق، ص44.

⁴-أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص114.

الفصل الخامس:.....الأوضاع الاقتصادية السائدة عصر الرحالة

وذلك لما تتوفر عليه من حاجات أساسية لكل من التاجر والحاج.

أما عن مخاطر هذا الطريق فقد أشار إليها العياشي في كثير من المواضع في رحلته، ومن بينها المعوّقات الطبيعية كنقص الماء والكلئ، بالإضافة إلى المفازات والرمال الصعبة، وكل ذلك في ظل افتقارها على أدنى شروط المرافق الضرورية من فنادق أو منازل لإقامة القوافل وخاصة أن بعض القرى على قول العياشي: "ما حسن تسميتها بقرية"¹.

بالإضافة إلى تلك الصعوبات، كان لانعدام الأمن في بعض المناطق، كإغارة القبائل على الركب من أعراب البوادي واللصوص وغيرهم الذين امتهنوا اللصوصية²، انعكاس على حركية التجارة بحيث أنّه كثيرا ما يتعرض أن يجتاز التجار أو الحجاج لخطر قطاع الطرق³، وهذا ما أكدّه الوزان بقوله: "أنه من النادر أن يفلت التجار من أيدي قطاع الطرق"⁴.

رغم كل هذه الأخطار التي شملت الطريق الصحراوي، فإنها ضلّت تدرّ عبرها الكثير من الأرباح وهذا ما نستشفه من قول رحالتنا العياشي: "إذ يصبح التاجر ميسورا بعد أن يشارك في رحلة أو رحلتين عبر هذا الطريق"⁵.

¹ - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص107.

² - دهان سليمان، نويصر مصطفى، "تنظيم الركب الجزائري خلال العهد العثماني بين تلبية المقدس والتواصل الحضاري"، مجلة أفكار وأفاق، العدد9/2017م، ص62.

³ - مرمول كاربخال، إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، جمعية مغربية للتأليف والترجمة، 1988م، ج1، ص63.

⁴ - حسن الوزان، المصدر السابق، ص137.

⁵ - ناصر الدين سعيدوني، "ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني"، المرجع السابق، ص83.

الفصل الخامس:.....الأوضاع الاقتصادية السائدة عصر الرحالة

المطلب الثاني: الأسواق وأهم المنتجات التجارية

كانت القوافل التجارية المختلفة العابرة للصحراء بالجزائر خلال الفترة العثمانية تجيء وتروح بين في كل الاتجاهات حاملة معها مختلف الأنواع والسلع¹، ومع هذه الحركة النشيطة للقوافل كان لابد من وجود أسواق تستوعب وتعيد توزيع هذه البضائع، ومن بين هذه الأسواق الزاب، تقرت، تماسين وورقلة التي تعتبر من أهم وأشهر الأسواق بالجنوب الشرقي، وكانت تقصدها العديد من القبائل المختلفة الأرجاء، كقبيلة الشعابنة التي كانت همزة وصل مع القبائل التارقية².

وعادة ما كانت هذه الأسواق -الظرفية- المتمثلة في القوافل كما أخبر اليوسي في رحلته، تتعصب في مواقع معلومة وتأتي لملاقاة المدن خصيصا للتجارة مع الحجيج³، حيث كانوا يقومون بعملية البيع والشراء وذلك على طول طريق الحج⁴، حيث كانت تحمل معها العديد من المنتجات الزراعية والصناعية المختلفة⁵.

وقد أخبر العياشي عن تلك الأسواق التي مرّ بها، مبيّنا أهم منتجاتها وأسعارها وتعاملاتها التجارية، ففي "توات" أشار إلى أنها مجمّع للقوافل، حيث تقام بها أسواق كبيرة عند قدوم القوافل التجارية الأخرى، حيث توجد بها كثير من السلع مثل: الخيل، الملابس، الحرير ... وغيرها، وغالبا ما كان الحجاج يقومون بصرف الذهب بها، لأن أثمانها أرخص عن غيرها من الأسواق، وكذلك سعر الصرف، ولعل هذا الأمر كان سبب في اختيار العياشي لهذا الطريق القريب من توات حيث يقول: "...وسبب إقامتنا في توات

¹-مولاي بلحميسي، مدينة ورقلة في رحلة العياشي، المرجع السابق، ص29

²-محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792-1830م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972م، ص109.

³ - محمد اليوسي، المصدر السابق، ص36

⁴-محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، المرجع السابق، ص185.

⁵-أوزايد بالحاج، "تجارة القوافل بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء في العهد العثماني ودورها الحضاري"، مجلة روافد للبحوث والدراسات، العدد 02/ 2017م، جامعة غرداية، ص119-120.

الفصل الخامس:.....الأوضاع الاقتصادية السائدة عصر الرحالة

أن كثيرا من الحجاج لما غلا صرف الذهب في تافلات آخروا الصرف إلى توات فان الذهب فيها أرخص وكذلك سعر القوت من الزرع والتمر يوجد فيها البضائع والسلع التي تجلب من الغرب مما هو خارج السودان نافعة في هذه البلاد كالخيل وملابس الملف والحرير" ويقول: " فإذا قدم الركب إليها كان السوق حافل...".¹

وبالتالي فان ما أشار إليه عن كثرة أسواقها وسلعها، ورخص أثمانها، وانتظام توافد القوافل التجارية إليها، يعد دليلاً واضحاً على التطور الاقتصادي الحاصل بها، وهو ما يؤكد عليه الوزان في حديثه مشيراً إلى تعامل قوافلها مع تجار السودان آنذاك أين تقام بها أسواق كبيرة.² (أنظر ملحق رقم 09)

وفي موضع يقال له " الجديد" أين بات الركب، يقول العياشي: "تسوّقنا هناك من الأعراب واشترى الناس منهم ما احتاجوا إليه بأرخص ثمن، وقدمت أخرى بعدها بيوم تحمل مثل ذلك وأكثر فتنعم الناس في اللحم والتمر والسمن، واشترى الحجاج غنما كثيرة حتى كانت تلك الليالي الثلاث التي أقاموها ليالي منى من كثرة اللحم"³، قوله هذا يعطينا فكرة على مدى وفرة الإنتاج بالمنطقة وخاصة لحوم الإبل، ونفس الأمر ذهب إليه الحسن الوزان في أن أسعار اللحوم (المواشي)، كانت مرتفعة ولهذا كانوا يشترون لحم الجمال والشحم المالح، الذي يأتي به تجار فاس وتلمسان، وتحصل لهم منه أرباح كثيرة.⁴

أما عن المنتجات التي شملت عليها الأسواق في الغالب إضافة لما ذكره رحالتنا، هي المنتجات الصناعية الحرفية ومحاصيل الغزل والنسيج، والعطارة بالدرجة الأولى، كما عرفت تجارة الكتب والمخطوطات التي عرفت رواجاً عظيماً آنذاك، لمل تدّره من أرباح

¹-أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص114.

²-الحسن الوزان، المصدر السابق، صص133-134.

³-أبو سالم العياشي، المصدر السابق، صص79-80.

⁴-الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 134.

الفصل الخامس:.....الأوضاع الاقتصادية السائدة عصر الرحالة

أضعاف ما تجنيه السلع الأخرى.¹ فقد ذكر العياشي سوق عين ماضي خلال مسيره إلى مدينة الأغواط بعزمه على بيع بعض الكتب هناك².

ومن أهم المنتجات التي كانت تصدرها الأسواق في هذه المنطقة عادة، التمور والأقمشة الصوفية، وخاصة إلى تونس وهذه الأخيرة كان يجلب منها التبغ وبعض المنتجات الزراعية والقطنية...³.

أما ورقلة فكانت هي الأخرى مركز مستقطب للتجار الذين كانوا يتوافدون من الشمال كقسنطينة وتونس وغيرها، وكانوا يعرضون بها البضائع التي يأتون بها من بلاد البربر ويستبدلون بها بفضائع واردة من السودان⁴، وقد شملت أسواقها أماكن لبيع المواشي واستبدالها كسوق تقرت التي أشار العياشي إلى حركية ونشاط أسواقها، فيقول : "واشترى الناس ما احتاج إليه وأقمنا يومين و بدلنا من الأباغر ما ضعف"⁵، ويظهر من خلال كلامه أنها كانت سوق كبيرة يتم فيها التبادل التجاري والسلع وكل ما يحتاجه الحجاج من مؤن حتى وصولهم إلى ورقلة.

المطلب الثالث: المعاملات والأسعار

نظرا للأهمية الاقتصادية التي كانت تلعبها كل من الأسواق الصحراوية الناشطة كنقطة عبور ومركز تجاري مهم، استطاع سكان المنطقة مع الزمن أن يتخلوا عن طريقة المقايضة واستعمال النقود في معاملاتهم... وغيرها، وقد حدثنا صاحب الرحلة عن هذه العملات ومنها توات، أين كان التعامل التجاري بها بالمتقال وقيمته " أربع وعشرون

¹-ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص 197.

²-أبو سالم العياشي، المصدر، السابق، ج2، ص546.

³-مرمول كريخال، إفريقيا، المصدر سابق، ج 3، ص 166، وأيضا الحسن الوزان، المصدر السابق، ص167.

⁴-محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص ص 156-157.

⁵-أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج1، ص 81.

الفصل الخامس:.....الأوضاع الاقتصادية السائدة عصر الرحالة

موزونة،¹ وهو من أكثر العملات استخداما في التعامل التجاري في الجزائر²، ويقول العياشي في ذلك: "وعدد المتقال عندهم أربع وعشرون موزونة ويقولون للمتقال الأربعيني متقال شريفي نسبة للأمير الشريف صاحب سجلماصة"³.

أما ورقلة فقد كانت تتعامل بعملة محلية خاصة بها يغلب عليها الكثير من النحاس، بحيث أن أربع وعشرين قطعة في ربع ريال،⁴ حيث يقول العياشي: "ولأهل هذه البلدة دراهم يتعاملون بها يكثر فيها النحاس تشمل أربع وعشرون مع ربع ريال."⁵

وبالإضافة إلى استعمال العملة الجزائرية ذلك الوقت، كان التجار يستعملون عملات أخرى كالريال التونسي المعروف "بالطريقة" ذات الوزن المتغير أو الدورو الاسباني، وبالخصوص الريال، بمختلف أصنافه كالريال الرباعي والثمانية، التي كانت شائعة ومطلوبة جدا في الجزائر العثمانية، فالريال في رأي الرحالة العياشي، "نافق في كل بلدة" لأنه قابل لتصرف.⁶

أما تقرت كان يتم فيها العملية التجارية بواسطة النقود الفاسية التي يتم تبادلها في منطقة بني جلاب، وقد وصف الرحالة عملتهم في قوله: "...فأما دراهمهم ففراطيط

¹ - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص 79.

² - مروش المنور، دراسات في الجزائر في العهد العثماني، دار القصة للنشر، الجزائر، ج 2009، م 1، ص 36.

³ - نسبة إلى مولاي الشريف بن علي ينظر: أبو العباس أحمد بن خالد الأنصاري، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955م، ص 147، وأيضا أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص 118.

⁴ - سعيدوني ناصر الدين، "ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني"، المرجع السابق، ص 93.

⁵ - أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص 118.

⁶ - أبو سالم العياشي، الرحلة الحجية الصغرى، المصدر السابق، ص 60. وأيضا:

Diego. De. Haedo , **Histoire Des d'Alger, Traduit par De Grammont**, Et présenté par Rebahi Abderrahmane , édition, Alger Livres Edition, Alger, 2004. p39.

الفصل الخامس:.....الأوضاع الاقتصادية السائدة عصر الرحالة

صغيرة اثنان وثلاثون في ربع ريال...¹، كما اهتم العياشي بمسألة الأسعار الخاصة بكل منطقة، حيث كان يرصد غلائها ورخصها كذكر رخص الأسعار في إقليم توات، حيث يقول: "...ووجدنا فيها التمر رخيصا وكذلك الذهب وأيضا سعر القوت من الزرع والتمر"²، وكذلك في ورقلة أين تباع فيها المنتوجات بأرخص الأثمان وذلك بسبب ثروة أهل المدينة وقيمة العملة المتبادل بها آنذاك³، وكذلك الأمر في بوسمغون حيث قال: "نزلنا بوسمغون عند المغرب ووجدناها أرخص بكثير من البلاد التي مررنا عليها"⁴.

وفي بسكرة لاحظ العياشي أنها رخصة الأسعار وخاصة البضاعة التي يحتاج إليها ركب الحجاج⁵.

كما اشتهرت بعض المدن بغلاء منتجاتها، ونذكر منها الأغواط التي وجد العياشي بها غلاء فاحشا، حيث يقول: " ووجدناها في غاية ما يكون من الغلاء "⁶وهذا ما أكدته الأغواط، بقوله: " نزلنا بقرية الأغواط...وهي قرية كبيرة ذات نخل وشجر ووجدناها غالية الأسعار"⁷.

¹ -أبو سالم العياشي، الرحلة العياشية، المصدر السابق، ص112.

² -أبو سالم العياشي، المصدر نفسه، ص79.

³ -مولاي بلحميسي، "مدينة ورقلة في رحلة العياشي"، ص70.

⁴ -أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ج2، ص548.

⁵ -عبد القادر زمامة، "مع أبي سالم العياشي إلى المشرق"، المرجع السابق، ص118.

⁶ -أبو سالم العياشي، المصدر السابق، ص546.

⁷ -فاطمة بلهوارى، "وصف الجنوب الصحراوي الجزائري في ظل الحكم العثماني"، المرجع السابق، ص43.

الفصل الخامس:.....الأوضاع الاقتصادية السائدة عصر الرحالة

نستنتج مما سبق أن المنطقة الصحراوية كانت تشكّل ثروة كبيرة فيما عرف بالواحات، وخاصة القصور، حيث استطاع سكانها اكتشاف طرق ذكية لتوفير المياه الجوفية المعروفة بالفقارة واستغلالها في النشاط الزراعي، فبالإضافة إلى اعتمادها على زراعة النخيل، أدخلت زراعات أخرى جديدة، وذلك بحسب المساحة المروية التي وفّرتها هذه الطريقة.

وقد اختلفت الأنشطة الصناعية التي مارسها المجتمع الصحراوي من، إلا أنها كانت عبارة عن نشاطات حرفية تقليدية ولا ترتقي إلى درجة الصناعة، كما لاحظنا انتشار حرفة رعي الأغنام والإبل التي انتشرت كثيرا عند البدو الرحل الذين كانوا في الغالب يسكنون خارج أسوار القصور أو بمحاذاتها وذلك من أجل استغلالها في التجارة وكذا للارتفاع بلحومها وألبانها...الخ.

كما تميزت بعض المدن الواقعة على طريق الحج بموقعها الاقتصادي التي جعلها مركز استقطاب جاذب، كونها شكّلت منطقة عبور للقوافل التجارية العابرة إلى بلاد السودان الغربي، كما تنوعت أسواق التجارة بمختلف المواد الاستهلاكية، وتعددت أصناف صادراتها المتمثلة في التمور والملح وكذلك وارداتها مثل الذهب والملح ومختلف المنتجات الأخرى.

الخاتمة

من خلال دراستنا المتواضعة لموضوع صورة الجزائر من خلال كتب رحلة أبي

سالم العياشي في العهد العثماني، وقفنا على جملة من النتائج أهمها:

1- كانت الرحلة عوناً كبيراً للباحث في التاريخ، باعتبار أنها من أهم المصادر

التاريخية التي زخرت بالكثير من الأخبار التي نُقلت لنا عن طريق المشاهدة

والمعاينة، فساهم بذلك الرحالة عموماً والمغاربة خصوصاً في توسيع معارفنا حول

واقع المجتمع الجزائري، بفضل ما أورده من معلومات متنوعة لا غنى عنها

للباحثين في التاريخ السياسي والاجتماعي والأدبي والديني والاقتصادي.

2- يعد أبو سالم العياشي من أهم الشخصيات التي ساهمت بأعمالها الجليلة، حيث

بذل كل جهوده في سبيل نشر الثقافة الإسلامية بتأليفه العلمية من مصنفات وكتب

تراجم وخاصة في مجال الرحلات، منها رحلته الحجازية التي ساهم من خلالها في

التأريخ للعالم الإسلامي عامة والجزائر خاصة، حيث كان مسجلاً للأحداث ومشاركاً

فيها وشاهداً عليها، لذلك تعد رحلته هذه مصدراً لا غنى عنه للباحثين في التاريخ

الحديث بكلّ فروعه.

3- لم يكن الحكم العثماني في الأقاليم الصحراوية مستقراً أو محدد المعالم، إلا أنه

تميّز بمظهرين أساسيين، تمثل الأول في الحكم المباشر الذي تجسّد في الحملات

التي وجهت على الإمارات المتمردة أو المستقلة، والآخر غير مباشر تجسّد في

التعاملات الاقتصادية التي جمعت المصالح المشتركة بين الطرفين كالتبادل

التجاري.

4- كشفت الرحلة طبيعة وبساطة التنظيم الإداري القبلي القائم على المشيخة الذي

تحكمه الأسر المحلية الشريفة حكماً مطلقاً على المنطقة الصحراوية، كما صورت

الصراعات القبلية بين تلك المشايخ بسبب التنافس المتواصل حول الزعامة وكذا

التوسع على حساب الأخرى وهذا التوتر في العلاقات أدى إلى انتشار الفوضى

واللا أمن في المنطقة.

5- وفيما يخص الجانب الاجتماعي فقد تميز المجتمع الصحراوي بوجود نظام اجتماعي خاص منقسم إلى نمطين، سكان الحضر أو القصور وسكان البدو الرحل المقيمين بجوار القصور، ورغم اختلاف النمطين في خصائصهم المعيشية والاجتماعية والثقافية، إلا أنهم اشتركوا في قيمهم وعاداتهم التي تكاد تكون واحدة كالكرم والإحسان وحسن الضيافة، واحترام الغرباء والترحيب بهم، وغيرها من الصفات التي نالت إعجاب الرحالة، غير أن العياشي ساءته الحالة الصحية والمعيشية الناتجة عن الوباء والجوانح كالقحط والجفاف التي أثرت سلبا على الوضع الديمغرافي للمجتمع الصحراوي.

6- وفيما يخص الحياة الثقافية، فقد تميز وضع المؤسسات الثقافية كالمساجد والزوايا في المناطق الصحراوية بضعف نشاطها التعليمي حسب العياشي من خلال وصف أئمتها وفقهائها بقلّة التحصيل وعدم درايتهم الواسعة بأمور الدين، إلا أن بموازات ذلك أشار بدوره إلى وجود بعض الشخصيات من العلماء ممن ساهموا في تنشيط الحركة الثقافية من خلال مكتباتهم ومؤلفاتهم، ويبدو أن المساجد والزوايا ودور رجال العلم كانت المراكز الأساسية لهذا الاحتكاك، كما أن العلوم المتداولة آنذاك نستشفها من خلال المؤلفات والكتب المنتقاة عندهم، قد غلب عليها طابع العلوم الشرعية بشكل أساسي، حيث اعتمدوا على مصنفات وشروح فقهية ودينية قديمة من إنتاج أهل البلاد.

7- دلت الزيارات التي قام بها العياشي للأضرحة والقباب على انتشارها الواسع في الصحراء وكذا الاستقطابها الكبير للزائرين من مختلف الأرجاء قصد التبرك، كما دلت على الحضور الصوفي الذي انتشر في المنطقة من خلال الطرق الصوفية، التي استطاعت أن تفرض أفكارها على المجتمع وتقييده بمعتقدات خرافية.

8- أما بالنسبة للجانب الاقتصادي، فإن المناطق الصحراوية وخاصة القصور قد شهدت نشاطا اقتصاديا كبيرا وبالأخصّ الجانب الزراعي وذلك بفضل التقنيات والطرق الزراعية التي اعتمدها أهالي الصحراء، حيث ساعدت تلك التقنيات على تحويل الصحاري القاحلة إلى واحات خضراء كبسكرة وورقلة، ومازاد من الأهمية الاقتصادية لهذه القصور موقعها الاستراتيجي بحيث شكلت مركز عبور للقوافل التجارية العابرة إليها من مختلف الجهات فتنوعت بذلك أسواقها بمختلف المواد الاستهلاكية وهو ما يدل عليه تنوع العملات وكذا المعاملات من مقايضة وبيع وشراء .

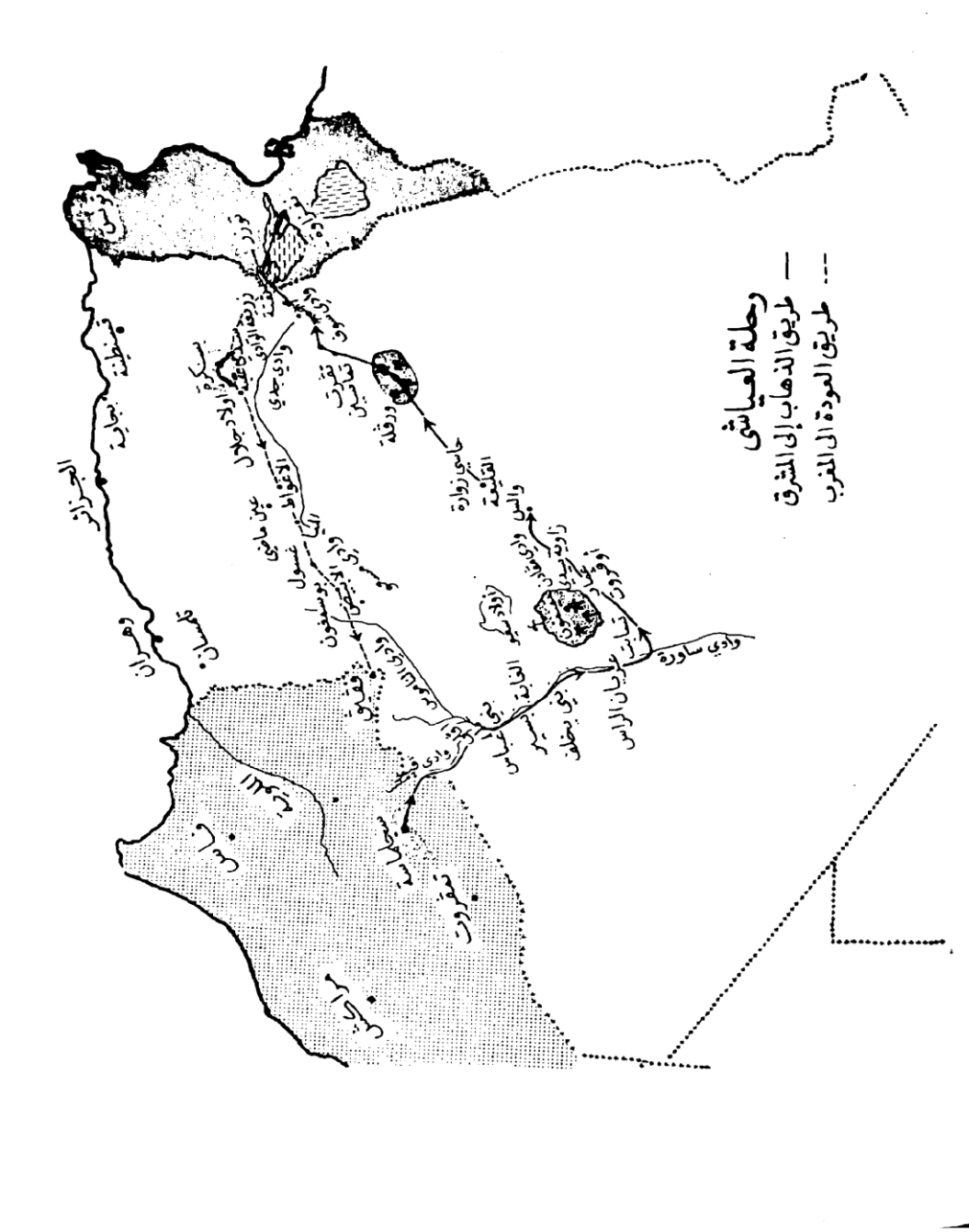
وخلاصة القول أن هذا التراث الأدبي، له دور كبير في الكشف الاجتماعي والحضاري لتاريخ الجزائر عموما والصحراء خصوصا في الفترة الحديثة، وكانت مرآة عاكسة للتفاعل التاريخي والحضاري وخاصة بين الجزائريين وجيرانهم المغاربة، وبالتالي تستحق العناية والدراسة المعمقة، للاستفادة من معطياتها العلمية.

السلامة

الملحق رقم: (01): مخطوطة الرحلة العياشية "ماء الموائد".¹



¹ http://malikiaa.blogspot.com/2009/06/blog-post_ مخطوطة الرحلة العياشية إلى الديار النورانية أو ماء الموائد 2018/10/2 19:50م.



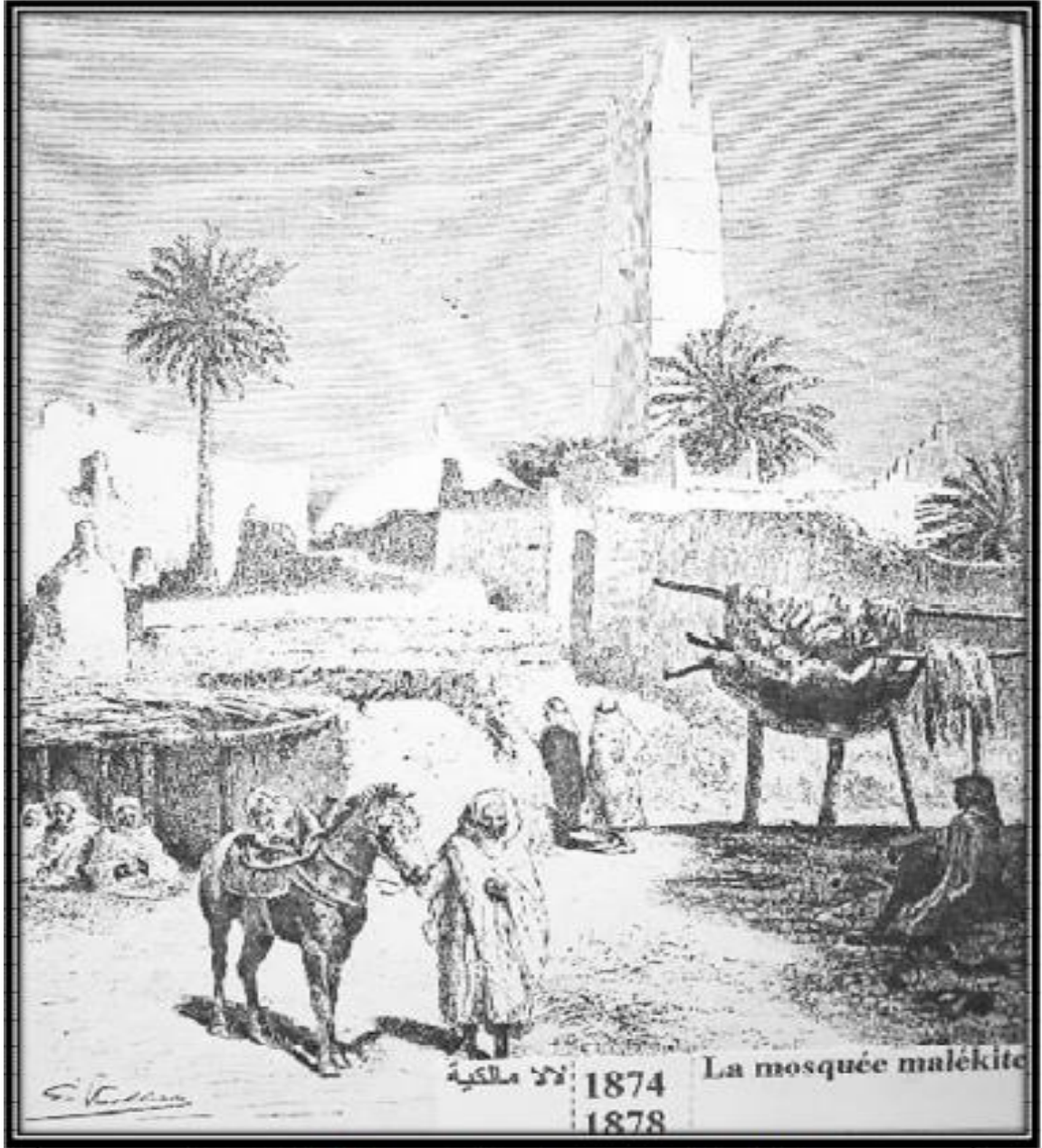
² - مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، المرجع السابق، ص95.

أعز الأهلين سعادة قولي، يوفقنا ويصلحنا من العبد المتأخر المزمع
الانقراض.



{ 105 }

الملحق رقم (04): جامع المالكية بورقلة⁴



⁴ - عباذ الأزهارى، نظام المشايخ فى ورقلة، المرجع السابق، ص 158.

الملحق رقم (05): منذنة الجامع المالكي⁵



⁵ - يمينه بن صغير حاضري، قصري توقرت وتماسين خلال فترة حكم بني جلاب، المرجع السابق، ص 288.

الملحق رقم (06): مئذنة مسجد عبد الله المغراوي بتماسين.⁶



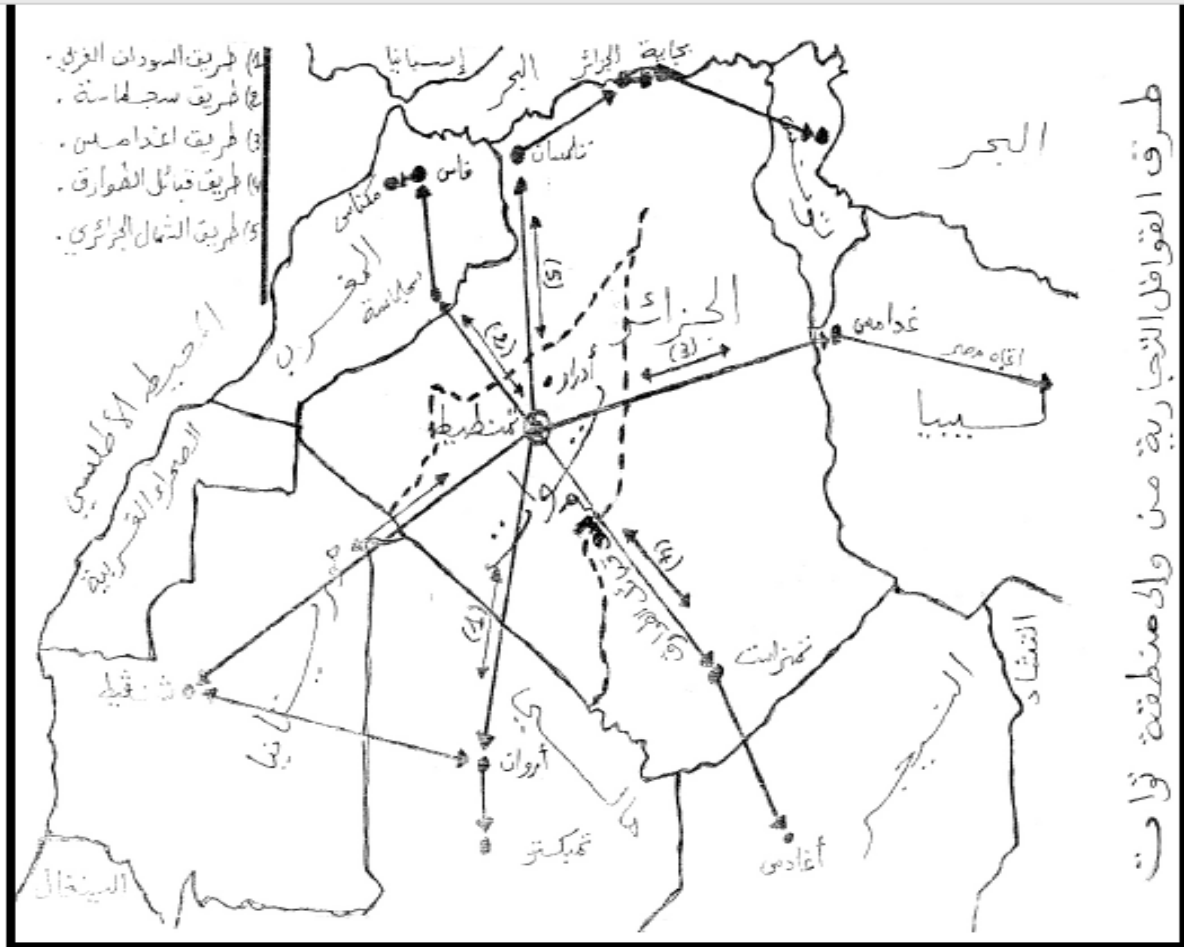
⁶ - يمينة بن صغير حاضري، قصري توقرت وتماسين خلال فترة حكم بني جلاب، المرجع السابق، ص380.

الملحق رقم(07): طريقة توزيع مياه الفقارة في منطقة توات⁷



⁷ - عز الدين جعفري، "أطلس العادات والتقاليد بمنطقة توات"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في تاريخ التراث اللامادي الجزائري، قسم التاريخ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2017-2018، ص 392.

الملحق رقم (08): أهم الطرق التجارية العابرة المارة على طريق توات⁸



⁸ - أحمد أبا الصافي، الحركة الأدبية في إقليم توات، المرجع السابق، ص 94.

9


$$\{111\}$$

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة

1. القرآن الكريم برواية ورش.

أ. المصادر العربية

1. المصعبي بحمان بن أبي محمد (إبراهيم)، رحلة المصعبي، تح: يحي بن بهون حاج
أحمد، العالمية للخدمات والنشر، غرداية، ط 1، 2006م.

2. ابن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية،
تح: محمد بن عبد الكريم، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، د. ط، 1981م.

3. الأغواطي ابن الدين (الحاج)، مجموع الرحلات، تح: أبو القاسم سعد الله، المعرفة
الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط: خ، 2011م.

4. الأنصاري أحمد بن أبو العباس (خالد)، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح:
جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، د: ط، 1955م.

5. البكري سيدي محمد بن (عبد الكريم)، درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام، تح:
عبد الله العروي، دون دار نشر، د. ط، د: ت.

6. التمقروتي النفحة المسكية في السفارة التركية، تح: عبد اللطيف الشاذلي، المطبعة
المالكية، الرباط، د. ط، د: ت.

7. التتيلاني (عبد الرحمان)، رحلة عبد الرحمان بن إدريس التتيلاني الجزائري
المحروسة (مجموع الرحلات)، تح: خير الدين شترة، دار كردادة للنشر، بوسعادة،
الجزائر، د. ط، 2015م.

8. الزباني (أبي القاسم)، الترجمانة الكبرى في أرجاء المعمور برا وبحرا، تح: عبد الكريم
الجيلاني، دار المعرفة للنشر، د. ط، الرباط، 1991م.

9. عبد الله الحضيكي (محمد)، الرحلة الحجازية، ضبط وتعليق، عبد العالي المدبر،
مركز الدراسات والبحث وإحياء التراث، الرباط-المغرب، ط 01، 2011م.

قائمة المصادر والمراجع

10. العنتري (صالح)، مجاعات قسنطينة، تر: رابح بونار، (ش.و.ن.ت)، د. ط، د: ت.
11. العياشي أبو سالم (محمد)، ماء الموائد (ليبيا - طرابلس - برقة)، تح: سعد زغلول وآخرون، منشأة المعارف، الإسكندرية، د. ط، د: ت.
12. العياشي أبو سالم (محمد)، الرحلة العياشية - ماء الموائد -، ج1، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2006م.
13. العياشي أبو سالم (محمد)، اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر، تحقيق نفيسة الذهبي، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، ط01، 1996م.
14. العياشي أبو سالم (محمد)، الرحلة العياشية إلى الديار النورانية، ج1 و2، تح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، د. ط، د: ت.
15. العياشي أبي سالم (محمد)، إتحاف الإخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء، تح: محمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط01، 1999م.
16. العياشي أبي سالم بن (محمد)، أبو سالم العياشي، الرحلة الصغرى - تعداد المنازل الحجازية -، تح: عبد الله حمادي الإدريسي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط2013، 01م.
17. العياشي أبي سالم (محمد)، الحكم بالعدل والإنصاف الرافع للخلاف فيما وقع بين بعض فقهاء سجلماسة، تقديم وتعليق: عبد العظيم الصغيري، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ط01، 2015م.
18. الغساني بن عبد الله (محمد)، رحلة الوزير في افتكاك الأسير، منشورات الجنرال فرنكو، د. ط، د: ت.

قائمة المصادر والمراجع

19. الفاسي (ابن زكور)، نشر أزاهير البستان فيمن أجازني بالجزائر وتيطوان من فضلاء أكابر الأعيان، تح: مصطفى الضيف ومحفوظ بوكراع، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، د. ط، 2011م.

ب. المصادر المعربة

1. كارخال (مارمول)، إفريقيا، تر: محمد حجي وآخرون، جمعية مغربية للتأليف والترجمة، 1988م.

2. المصادر الأجنبية

1. Haedo DE Diego, Topgraphie et Histoir génrale D'A lger , Traduction Adrien Berbrugger , Editions Bouch »ne , 1998.
2. Thomas Shaw, Voyage dans La Régence D'Alger ou désertion géographique'etc, de cet état , Traduit, Jacques Mac W , paris, Éditeur Marlin, paris, 1751.

ثانيا: قائمة المراجع

أ. المراجع العربية

1. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار الغرب الإسلامي، ط1998، 01م.
2. الأخضر مبرز السريون (محمد)، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية (1664-1814)، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 1977م.
3. إسماعيل (العربي)، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.

قائمة المصادر والمراجع

4. أعوش بكير (بن سعيد)، وادي ميزاب في ظل الحضارة الإسلامية دينيا تاريخيا اجتماعيا، المطبعة العربية، د. ط، 1991م.
5. بلحميسي (مولاي)، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، (ش.و.ن.ت)، الجزائر، د. ط، 1977م.
6. بن قينة (عمر)، اتجاهات الرحالين المغاربة في الرحلة العربية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د. ط، د: ت.
7. التوزاني (خالد)، الرحلة وفتنة العجيب بين الكتابة والتلقي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط01، 2017م.
8. توفيق المدني (أحمد)، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، د: ط 1931م.
9. حسين حسين (محمود)، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ط02، 1989م.
10. حمادي الإدريسي (عبد الله)، تاريخ وادي الساور تاريخ ومناقب وبطولات، ج2، دار بوسعادة للنشر والتوزيع، المسيلة- الجزائر، ط01، 2013م.
11. خياطي (مصطفى)، الأوبئة والمجاعات في الجزائر، ترجمة حضرية، يوسف وهبة حابت، منشورات ANEP، المؤسسة الوطنية للاتصال، الرويبة-الجزائر، د. ط، د: ت.
12. الزبيري محمد (العربي)، التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792-1830م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط02، 1972م.
13. سعد الله (أبو القاسم)، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج2، دار البصائر، الجزائر، ط: خ، 2007م.
14. سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار الغرب الإسلامي، ط01، 1998م.

قائمة المصادر والمراجع

15. سعد الله (أبو القاسم)، تجارب في الأدب والرحلة ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د. ط، 1983م.
16. سعيدوني (ناصر الدين)، الشرق الجزائري قسنطينة اثناء العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي من خلال وثائق الارشيف الجزائري، ط:خ ، 2009م.
17. سعيدوني (ناصر الدين)، النظام المالي في أواخر العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط02، 1985م.
18. سعيدوني (ناصر الدين) والبوعبدلي (المهدي)، الجزائر في التاريخ في العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، د. ط ، 1984 م.
19. سعيدوني (ناصر الدين)، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار البصائر، الجزائر، 2008م، ص481.
20. سعيدوني (ناصر الدين)، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي (تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 01، 1999م.
21. الشاهدي (الحسن)، أدب الرحلة بالغرب في العصر المريني ،ج1، منشورات عكاظ، الرباط ،د. ط، د: ت.
22. شوابكة (نوال)، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع هجري، دار المأمون للنشر والتوزيع نعمان، ط01، 2004م.
23. عباد (صالح)، الجزائر خلال الحكم التركي، دار الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 2012م.
24. عطلاوي (عبد الرزاق)، الرحلات العلمية وآثارها في الحركة الإصلاحية الجزائرية 1900-1954، دار اليازوري العلمية، ط2017، 01م.
25. العوامر إبراهيم (محمد)، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، تعليق: الجيلاني بن إبراهيم العوامر، منشورات تالة، الجزائر، د. ط، 2007م.

قائمة المصادر والمراجع

26. الغزالي (أبو حامد)، إحياء علوم الدين، ج6، دار الشعب، القاهرة، د. ط، 1980م.
27. فهميم حسين (محمد)، أدب الرحلات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د. ط، 1989م.
28. قدوري (عبد المجيد)، ابن أبي المحلي علي الفقيه الثائر ورحلته الأصلية الأخيرة، منشورات عكاظ، الرباط، ط1، 1991م.
29. قنديل (فؤاد)، أدب الرحلة في التراث العربي، ج1، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط2، 2002م.
30. كنون (عبد الله)، النبوغ المغربي في الأدب العربي، دون دار نشر، ط2، (د: ت).
31. المري عبد القادر بن سودة (عبد السلام)، دليل المؤرخ المغرب الأقصى، ج1، دار الفكر للطباعة والنشر، الرباط، ط1، 1997 م.
32. مريوش (أحمد)، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، د. ط، 2007م.
33. معاشي (جميلة)، الأسر الحاكمة بايلك الشرق الجزائري من القرن (19-16م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د. ط، د: ت.
34. النساج سيد (حامد)، مشوار كتب الرحلة، مكتبة غريب، القاهرة، د. ط، د: ت.
35. نصار (حسين)، أدب الرحلة، دار نوبار للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1991م.
36. نواب عواطف بنت محمد (يوسف)، كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين 11-12م، دار الملك عبد العزيز، د. ط، 2008م.
37. النوري عيسى حمو (محمد)، دور المزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا، ج1، دار البعث، قسطينة، د. ط، 2013م.

قائمة المصادر والمراجع

38. هلالي (حنيفي)، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2009، 01م.

ب-المراجع الأجنبية

1. Provençal (lévi), **les historiens des chorfa**, emile larose éditeur, Paris, 1922.

ثالثا: الدراسات والأبحاث المنشورة في المجلات والدوريات

أ-المجلات

1. آل الشيخ (سعاد)، "جوانب من الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية بالجزائر العثمانية من خلال كتابات بعض الرحالة المغاربة"، مجلة التراث، مج01، ع 29، ، ديسمبر 2018م.
2. أوزايد (بالحاج)، "تجارة القوافل بين الجزائر وأفريقيا جنوب الصحراء في العهد العثماني ودورها الحضاري"، مجلة روافد للبحوث والدراسات، ع02، جامعة غرداية، 2017م.
3. برشان (محمد)، "الصحراء في أعمال الشيخ المهدي البوعبدلي إقليم توات أنموذجا"، مجلة دراسات، مخبر الدراسات الصحراوية، ع01، د: ت.
4. بلبراوات (بن عتو)، "اهتمام الإستشراق الفرنسي برحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الغرب الجزائري"، الحوار المتوسطي، ع 3-4/مارس 2019م، ص 107-108.
5. بلحميسي (مولاي)، "مدينة ورقلة في رحلة العياشي"، عدد خاص من تاريخ ورقلة، ع41/جانفي 1977م.

قائمة المصادر والمراجع

6. بلهوارى (فاطمة)، "وصف الجنوب الصحراوي في ظل الحكم العثماني من خلال مخطوط الرحالة ابن العباس السجلماسي"، المجلة الجزائرية للمخطوطات، مج6، ع 2018/07م.
7. بن جبور (محمد)، "الوضع الصحي لسكان الجزائر في العهد العثماني"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، قسم التاريخ - جامعة معسكر، ع 04/د: ت.
8. بن قايد (عمر)، "منطقة الأغواط وما جاورها من خلال رحلة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري الدرعي السجلماسي - قراءة اجتماعية ثقافية -"، مجلة المغاربة للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج9، ع 01 / جوان، 2018م.
9. بوجمعة طيب (نعيم)، "البيئة الصحراوية وأثرها في توجهات الحياة الاقتصادية - دراسة تاريخية -"، مجلة القرطاس، ع 09 / جويلية 2018م.
10. بوسعد (الطيب)، 'الصحراء الجنوبية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني وادي ريغ أنموذج'، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المركز الجامعي بغرداية، ع 15/2011م.
11. بوسليم (الصالح) وبن قايد (عمر)، 'الأضرحة والمزارات في الجزائر العثمانية من خلال كتب الرحلات المغربية'، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 2015/21م.
- التازي (عبد الهادي)، رحلة المغربي أبو سالم العياشي إلى الحجاز، مجلة الحجاز، ع 89/2005م.
12. حاضري بن صغير (يمينة)، 'الحركة التجارية بالجنوب الشرقي الجزائري منذ القرن 14 إلى القرن 17م'، مجلة الواحات، ع 16/2012م.

قائمة المصادر والمراجع

13. دباح (عائشة)، 'الرحلة العلمية وتأثيرها على الوضع الثقافي في الجزائر في عهد الدايات (رحلة الورثاني أنموذجا)'، قضايا تاريخية، ع8/2017م.
14. دهان (سليمان) ونوبصر (مصطفى)، 'تنظيم الركب الجزائري خلال العهد العثماني بين تلبية المقدس والتواصل الحضاري'، مجلة أفكار وأفاق، ع09/2017م.
15. دين (قادة)، 'أنماط تواجد الماء في الصحراء الجزائرية وطرق استغلاله من خلال المصادر'، مجلة قضايا تاريخية، ع07/2017م.
16. دين (قادة)، 'الحدود الجزائرية المغربية عبر التاريخ'، عصور الجديدة، مج7، ع27/2018م.
17. زبادية (عبد القادر)، 'ورقة عروس مدائن الجنوب'، مجلة الأصالة، عدد خاص من تاريخ ورقة، ع41/جانفي 1977م.
18. زمامة (عبد القادر)، 'مع أبي سالم العياشي في رحلته إلى المشرق'، مجلة المناهل، ع25/1982م.
19. زيزو (عبد الحميد)، 'الوضع في منطقة ورقة قبل الاحتلال الفرنسي'، مجلة الأصالة، عدد خاص من تاريخ ورقة، ع41/جانفي 1977م.
20. سعيود (إبراهيم)، 'تأثيرات الوجود العثماني في بعض منا حي الحياة الاجتماعية والثقافية في الجزائر'، مجلة الدراسات التاريخية، قسم التاريخ، جامعة أبو القاسم سعد الله، ع19/ديسمبر 2015م.
21. شرف (موسى)، 'أخبار العلم والعلماء بأرض الحجاز من خلال الرحلات المغربية رحلتي أبي سالم العياشي وابن الطيب المشرفي نماذجا'، قضايا تاريخية، ع08/ديسمبر 2017م.

قائمة المصادر والمراجع

22. شريدي (سعيد)، "دور المشيخة في تفعيل سلطة الدولة في الجزائر خلال الفترة العثمانية القرن 16م-19م"، مجلة منتدى الأستاذ، ع18/جوان 2011م.
23. محمودي(محمد)، "صورة المدينة الجزائرية إبان العهد العثماني في رحلة العياشي المغربي"، مجلة الحضارة الإسلامية، ع 27 /د:ت ، جامعة قسنطينة.
24. المشهداني مؤيد محمود (محمد) وسلوان (رشيد)، "أوضاع الجزائر خلال الحكم العثماني (1518-1830)"، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، ع 16/نيسان 2013م.
25. معمر (محمد)، "علاقة بني جلاب يلاطين تفتت بالسلطة العثمانية بالجزائر"، مجلة الحضارة الإسلامية، ع12،(د:ت).
26. موشوشة (سمير)، "ابن حمادوش وأبو راس يؤرخان للعلاقات التجارية بين إيالتي الجزائر وتونس خلال القرن 18م"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع12/2017م.
27. ناصر الدين سعيدوني، "ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني"، مجلة الأصالة، عدد خاص من تاريخ ورقلة، ع41/جانفي، 1977م.
28. الوردي (طرطاق)، "أنظمة الري التقليدية في الزراعة الصحراوية- إقليم وادي ريغ أنموذجا-"، مجلة العوم الإجتماعية والإنسانية ، ع 32/جوان 2015م.

-المجلات الأجنبية

1. L-Charles -(Feraud), "**Les Ben Djellab Sultans de Tougourt**", R.A, N135, Alger, 1879.

ب: الملتقيات

1. بو زيانى (قدور)، "نظرة الرحالين المغاربة إلى الحكام العثمانيين"، ضمن ملتقى أدب الرحلة والتواصل الحضاري، جامعة المولى إسماعيل كلية الأدب والعلوم الإنسانية، مكناس، 1995م.
2. بوترعة (بلال)، "أثر الظروف البيئية على الأنشطة الاقتصادية لسكان وادي سوف خلال القرن 19"، ضمن الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12-13هـ و 18-19م من خلال المصادر المحلية 24-25 جانفي 2012م، المركز الجامعي بالوادي 2، الوكالة الوطنية لتطوير البحث الجامعي، 2012م.
3. بوركة (محمد)، "الدور الديني والتربوي للزوايا في الجزائر"، ضمن فعاليات الملتقى الوطني العاشر حول الزوايا ودورها في المحافظة على الشخصية الوطنية، إصدار الجمعية الخلدونية، 2015م.
4. بوسعيد (أحمد)، "طريق الصعاليك في روايات الرحالية المغاربة خلال القرنين 11 و 12هـ و 17-18م"، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، (مؤتمر طريق الحج)، جامعة إفريقيا العالمية، 2016م.
5. شافوا (رضوان)، "الحياة الاجتماعية بوادي ريغ خلال القرن 19م"، الملتقى الوطني الثاني حول الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12-13هـ و 18-19م من خلال المصادر المحلية، 24-25 جانفي 2012م، المركز الجامعي بالوادي، الوكالة الوطنية لتطوير البحث الجامعي، 2012م.

قائمة المصادر والمراجع

6. الطاهر عبد الجواد (محمد)، "وادي ريغ (تقرت) أيام بني جلاب"، ضمن الملتقى التاريخي من 23-24 أفريل 1998م، حول فترة حكم وادي ريغ، ط01، منشورات جمعية الوفاء للشهيد، 1998م.
7. غرايسة (عمار)، "الأدوار الحضارية للمدن والزوايا (ورجلان نموذجا)"، حوليات التاريخ والجغرافيا، ضمن الملتقى الوطني الثالث حول المدن الجزائرية، ع2011/05م.
8. لبصير (سعاد)، "الهجرة الجزائرية في تاريخ الماضي والحاضر"، الملتقى الدولي العلمي الأول، مخبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية حول الهجرة والرحلة، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008م.

رابعاً: الرسائل الجامعية

1. الأزهاري (عباز)، نظام المشايخ في ورقلة بين العهدين العثماني والفرنسي خلال 1603-1884، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الوادي، 2013-2014م.
2. باعثمان (عبد الرحمان)، القضاء في منطقة توات خلال القرنين 17 و18م، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في تاريخ الحضارة الإسلامية، كلية العلوم السياسية لجامعة وهران، محمد بن بلة 2015، 1-2016م.
3. بن صغير حاضري (يمينة)، قصري توقرت وتماسين خلال فترة حكم بني جلاب دراسة تاريخية أثرية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والآثار، جامعة الجزائر، 2000-2001م.

قائمة المصادر والمراجع

4. بوسعيد (أحمد)، ركب الحج الجزائري من خلال كتب الرحلات الحجازية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، جامعة أحمد دراية، أدرار، 2017-2018م.
5. بوسعيد (أحمد)، الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ -18م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المغاربي والاجتماعي والثقافي، قسم التاريخ، جامعة أدرار - أدرار، 2011-2012م.
6. جعفري (مبارك)، الحياة العلمية في إقليم توات وانعكاساتها جنوب الصحراء خلال القرن (12هـ-18م) ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص دراسات افريقية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر-الجزائر، 2008-2009م.
7. حفيان (رشيد)، الطرق والقوافل التجارية في الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين (12-11هـ/17-18م) ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الجزائر الحديث، قسم التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة، 2013-2014م.
8. خليفة (عبد القادر)، البنى الاجتماعية وعلاقتها بالمجال العمراني في مدن الصحراء الجزائرية -دراسة سسيو-أنثروبولوجية لمدينة توقرت- (وادي ريغ) ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في علم الاجتماع، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر - بسكرة، 2001-2012م.
9. رقاد (السعدية)، المؤسسات العلمية في بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني (1700-1830) ، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الطور الثالث، قسم التريخ وعلم الآثار جامعة وهران، 1018-2019م.

قائمة المصادر والمراجع

10. مسعودي (زهرة)، الطرق الصوفية بتوات وعلاقتها بغرب إفريقيا من القرن 18 من إلى القرن 20م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإفريقي الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة أدرار، 2009-2010م.

خامسا: الموسوعات والمعاجم والتراجم

أ.الموسوعات

1. فريد وجدي(محمد)، دائرة المعارف القرن العشرين (الرابع عشر -العشرين)، مج 4، دار الفكر، بيروت، د. ط، د: ت.
2. مجدي(وهيبة)، المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ج1، مكتبة لبنان، بيروت، ط02، 1984م.

ب.المعاجم

1. ابن فارس بن زكريا (أحمد)، معجم مقاييس اللغة، ج2، تح:عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط01، 1979م.
2. ابن منظور، لسان العرب، تر: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ج18، مج3، د. ط، د: ت.
3. الزيات (أحمد) وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، تح: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، القاهرة، د. ط، د: ت.

ج-كتب التراجم

1. ابن الطيب القادري (محمد)، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، ج02، تح: محمد حجي، أحمد التوفيق، مكتبة الطالب، الرباط، ط01، 1986م.
2. ابن الطيب القادري(محمد)، التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادي والثاني عشر، تح: هاشم القاسمي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 01، 1983م.

قائمة المصادر والمراجع

3. أبو عمران (الشيخ) وسعيدوني (ناصر الدين)، معجم مشاهير المغاربة، الملكية للطباعة والإعلام والنشر والتوزيع، د. ط، 1995م.
4. الأفراني بن الحاج (محمد)، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تح: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء-المغرب، 2004م.
5. ابن قاسم بن مخلوف (محمد)، شجرة النور الزكية في الطبقات المالكية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 2002م.
6. الترغي (عبد المرابط)، فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن 12 للهجرة منهجها تطورها، قيمتها العلمية، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، تطوان، ط1994، 01م.
7. الزركلي (خير الدين)، الأعلام، ج02، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2012م.
8. الكتاني (عبد الحي)، فهرس الفهارس والإثبات ومعجم المعاجم والمشيوخ والمسلسلات، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط02، 1982م.
9. المحبي محمد بن (محمد)، خلاصة الأثر في أعيان الحادي عشر، ج01، دون دار نشر، د. ط، د: ت.

سادسا: المواقع الإلكترونية

1. أبو سالم محمد العياشي، مخطوطة اقتفاء الأثر بعد زهاب أهل الأثر، رقم مخطوطة: 1/33، مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء-المغرب
حمّل بتاريخ 11:45، 24 ماي 2019 <https://www.ahlalhdeeth.com>

قائمة

المفهارس

1. فهرس الأعلام

-أ-

- إبراهيم الشيخ ابن الشيخ الميموني: 22.
إبراهيم بحمان المصعبي: 54.
ابن الدين الأغواطي: 12-33-82-84
ابن المحلى أحمد بن عبد الله: 43.
ابن زاكور الفاسي: 20.
ابن زروق: 10-22.
أبن مرزوق: 73.
ابن مشيش: 10.
ابن هطال التلمساني: 10 .
أبو العباس أحمد: 22.
أبو القاسم الزياتي: 35-78.
أبو المهدي الثعالبي: 55.
أبو بكر السجستاني: 22.
أبو حامد الغزالي: 08.
أبو سالم العياشي: 10-17-18-19-20-21-22-23-25-26-28-30-31-32-37-38-39
40-41-42-45-46-47-48-49-50-51-52-55-56-57-58-60-61-62-63
64-65-67-68-69-70-71-72-73-74-75-78-79-81-82-83-84-85-86-89-90-91-92-93
94-97.
أبو قاسم سعد الله: 12-66-67-70.
أبي الحسن ابن مسعود اليمني: 18.
أبي بكر بن يوسف الباكستاني: 18-88.
أبي زيد بن فلجة: 66.
أحمد المقرئ: 10.
أحمد المنصور المغربي: 12.
أحمد بن جلاب: 37-38.
أبو عبد الله محمد الأوقرتي: 71.
أحمد بن محمد الفاسي: 63.

-ج-

جمال الدين النقشبندي: 23.

-ح-

حمزة بن عبد الله العياشي: 20-22-25.
الحسن الوزان الفاسي: 12-36-52-53-57-65-90-85.

حسين العجمي: 23.
الحضيكي: 52-74.
الحسين الورثلاني: 52-55-59-65-70.

-خ-

خالد بن سنان النبي: 77.

-س-

سيدي الحاج أبو حفص: 76.
سيدي بو الطيب بونصير: 55-58-76.
سيدي حمزة بن محمد العياشي: 22.
سيدي عبد الرحمان الأخضرري: 74-77-78.
سيدي عبد القادر الجيلاني: 66.
سيدي عبد الله بن محمد مبارك: 52.
سيدي عقبة بن عامر التابعي: 52-76.
سيدي علي الأجهوري: 22.
سيدي محمد بن إسماعيل القوراري: 74.
سيدي محمد بن الصالح (عريان الراس): 34-76-67-64.
سيدي محمد بن بو علي: 77.
سيدي محمد بن محمد الأنصاري: 7.
سيدي محمد بن موسى: 73.
سيدي ناجي: 66.

-ش-

شهاب الدين خفاجي: 23.

-ع-

عبد الرحمان الأخضرري: 65-78.
عبد الرحمان الثعالبي: 11.
عبد الكريم الفكون: 23.
عبد العزيز الزمزمي: 23.
عبد القادر علي الفاسي: 22.
عبد الكريم العياشي: 18.
عبد الله ابن سودة: 10.
عبد الله الرماصي: 73.
علي بن محمد التمقروتي: 11-15.

-م-

محمد عبد الكريم أمحمد بن محمد التواتي: 51-72.

محمد بن اسماعيل القراري: 71.

محمد الشريف العلوي السلجماسي: 31-33-35-42-44-45.

محمد باي الكبير: 12.

محمد الناصري الدرعي: 51-54.

محمد بن إبراهيم بن مراد: 33.

محمد بن أبي بكر العياشي: 18-22.

محمد بن الحسن اليوسي: 20-70-84.

محمد بن عبد القادر الفاسي: 20.

محمد بن عبد الكريم أمحمد التواتي التمنطيبي: 72.

محمد بن عبد الوهاب الغساني المغربي: 11.

محمد بن عثمان المكناسي: 11.

محمد بن ناصر الدرعي: 22--7853.

محمد حجي: 26.

محمد أبي السعيد المجيلدي: 20-23.

المهدي بن تومرت: 32-69.

مولاي علاهم: 33-38-39-40-41--45-50-73.

-و-

ويليام شالر: 12.

وليام هديسون: 12.

-ي-

يوسف باشا: 32.

2. فهرس الأماكن والبلدان:

-أ-

الأطلس النّلي: 45.
الأطلس الصحراوي: 45.
الأطلس الكبير: 17.
الأغواط: 28-35-44-49-59-87-94.
أنقوسا (ناقوصة): 45-73.
أوكرت (أوقروت): 28-51-68-82 .
أولاد جلال: 68-85-87.
اسطنبول: 12.
أكديز: 90.
إمليلي: 45.

-ب-

بسكرة: 28-31-45-52-55-58-59-67-70-84-86.
بني جلاب: 32-37-93.
بني يخلف: 63-75-76.
بني عباس: 76-81-85.
بوسمغون: 28-52-55.
بيت المقدس: 28.
بلاد الزاب: 28-51-52-53-68-85-92.

-ت-

تازروفت: 17.
تافيلالت: 91.
تسابت: 33-66-68-90.
تقريت (توقريت): 63-51-45-41-40-38-37-36-33-32-28-95-90-76-71-65.
تماسين: 28-32-51-63-85.
تلمسان: 93.
توات: 28-32-35-49-60-68-72-73-76-81-82-83-84-87-88-90-92-94-96.
تتيكت: 90.
توزر: 51.
تونس (إفريقية): 76-31-94.
توكورارين: 33.

-ج-

جامع المالكية: 35-63-63.

جامع الإباضية: 63.

الجزائر: أ-ب-هـ-11-12-29-31-35-42-43-44-58-95.

-ح-

الحجاز: 23-28-55-71.

-د-

الدغامشة: 28.

-ر-

الرياح: 73.

الرباط: 23-26.

-ز-

الزاوية العياشية (آيت عياش): 18-25-28.

الزاوية الناصرية: 18.

زاوية أولاد سيدي ناجي: 66.

زاوية سيدي أحمد بن موسى: 66.

زاوية سيدي عبد الله بن طمطم: 51-68.

زاوية سيدي عمر بن الصالح: 65-68.

زاوية عبد الرحمان الأخضرى: 47.

زريبة حامد: 52.

الزيبان: 31-73.

زيرارة: 82.

-س-

سجلماسة: 27-33-35-95.

السهوب الشرقية: 51.

السودان: 89-93-92.

سيدي عقبة: 28-47-55-58-59-73.

-ش-

شبه الجزيرة العربية: 54.

-ص-

الصحراء: 28-32-33-34-36-42-43-51-54-61-80-81-89.

-ض-

ضريح أبي الفضل: 77.

ضريح سيدي عبد الرحمان الأخضرى: 74.

ضريح سيدي عقبة: 73.

ضريح عبد السلام بن مشيش: 10.

ضريح محمد بن الصالح: -7633.

ضريح سيدي محمد أحمد بن موسى:75.

-ط-

طولقة:70.

-ع-

عين ماضي:28-35-44-94.

-غ -

الغسول:29.

-ف-

فاس:26-93.

فقيق:29.

-ق-

القلبعة (المنبعة):81-52-39-28.

قسنطينة:59-94.

القيروان:73.

-ك-

الكرادكة:45-44-49.

-ل-

ليبيا:54.

-م-

مازونة:93.

ماقوسا (أنقوسا):42-41-39-45.

مسجد الجامع الأكبر:64.

مسجد عبد الله المغراوي:63.

مسجد عقبة بن نافع الفهري:52-64.

المشرق:11-12-19-22-28-54.

مصر:22-57.

المغرب الأدنى:28.

المغرب العربي الإسلامي: 10-27--30-31-81.

المغرب الأقصى: 10-11-17-18-19-22-34-55-58.

مكة:56.

مكناسة:33.

-ن-

نفزاوة:28.

-و-

وادي إغرار: 81.
 وادي الأثمور: 81.
 وادي الساور (الأساور): 81-44-28.
 وادي الغسول: 45-81.
 وادي النفاوس: 29.
 وادي إيمكين (وادي الصالح): 81.
 وادي جبر: 81-28.
 وادي درعة: 18.
 وادي ريغ: 32-39-42-50-53-58-72-82-85.
 وادي سوف: 31-76-83.
 وادي طمغاوب: 28.
 وادي مساعد: 81.
 وادي مسعود: 81.
 وادي ميزاب: 31-81.
 الوادي: 29.
 والا: 52.
 ورقلة 28—33-37-38-39-40-41-42-43-45-55-63-66-69-76-81-82-86-89-90-94-96.

3. فهرس القبائل والجماعات

- أ -

- الإباضية: 63.
- الأتراك (الترك): 31- 43.
- الأدارسة: 41.
- الأشراف: 37-41-47-54.
- آل البيت: 36.
- آل علاهم: 39-42.
- أولاد بن سعيد: 47.
- أولاد بن قانة: 36.
- أولاد بني جلاب: 33-37-38-39-43-68-45.
- أولاد سيدي جليل: 51.
- أولاد سيدي عبد القادر بن بوسماحة: 76.
- أولاد سيدي مخلوف: 61.
- أولاد صولة: 49-51-54.
- أولاد محمد: 47.
- أولاد نصر بن بوعكاز: 37-49-54.
- عرب عمور: 49.

- ب -

- البدو والرحل والأعراب: 31-32-33-35-38-40-46-45-47-48-49-54-59-60-61-76-78-82-89-91-90.
- بني مرين: 36-41.

- ح -

- الحضر (القرويين): 47-48-78.

- ع -

- العثمانيين: 31.
- العرب: 7- 15-31-43-52.
- العزابة (الروافض): 37-39.
- العلويين: 31.

- س -

- السعديين: 41.

- م -

- المشاركة: 9-23.
- المغاربة: 9-10-11-47-52-53.

فهرس

المحتويات